ديوان

حاتم الطائي



دار صادر دار بيروت

ديوان حاتم الطائي

ديوان

حاتم الطائي

بيروت

١٣٨٣هـ ١٩٦٣م

حاتم الطائي

— ٦٠٥ م

لا يُذكر اسم حاتم الطائي إلاّ تمثّل لسامعه ، إذا كان ممّن عرفوا تاريخ العرب ، سيّد من سادات طيء ، وشاعر من شعراء الجاهليّة ، وفارس من فرسانها ؛ رجل يكتنفه الشرف والسؤدد من طرفيه ، وتسمه الشجاعة وعفة النفس وكرم الأخلاق ، والعاطفة الإنسانيّة ، والروح الاشتراكيّة ، بأجمل سماتها ، ويزينه السخاء والجود وحبّ الضيافة بأسمى زينه ؛ لم يكن همّه إلاّ إكرام الضيوف ، والنحر لهم والجود عليهم ، وإلاّ الترفيه عن المرملين ، وإنقاذ الأسرى ولو بالاستئسار بدلاً منهم .

وكثيراً ما كان يتشبّه بصعاليك العرب الفاضلين الذين يعيشون ، ويجودون ممّا يكسبونه في غزوهم ، لا بالصعاليك اللؤماء الذين يعيشون من فضلات الموائد ، أذلاّء مهينين .

وحاتم وإن كان يسخو ويجود بغية أن يؤثر ذلك عنه ، وتُتناقل أخباره في قبائل العرب شأن كلّ بدوي في أنانيته وتماجده ، فالكرم طبع فيه ، وغريزة متمكّنة ، ولم يُضرب به المثل في الكرم عن عبث .

أم حاتم

ويُستدلّ من أخباره أنّه أخذ طبيعة الكرم عن أمّه ، عُتبة بنت عفيف ، فقد روي أنّها كانت في الجود كابنها ، لا تدّخر شيئاً ولا يسألها أحد شيئاً فتمنعه . وكانت ، وهي بين إخوتها ، ذات يسار ، ومن أسخى الناس وأقراهم للضيف ، لا تمسك شيئاً تملكه ، فلمّا رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها ، فمكثت دهراً لا يُدفع إليها شيء ، حتى إذا ظنّوا أنّها وجدت ألم ذلك أعطوها قطعة من الإبل ، فجاءتها امرأة من هوازن ، كانت تأتيها في كلّ سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه القطعة من الإبل فخذيها ، فوالله لقد عضني ، من الجوع ، ما لا أمنع معه سائلاً أبداً ، ثمّ أنشأت تقول :

لَعمري، لقِدماً عضّني الجوعُ عضّة، فآليتُ ألاّ أمنعَ ، الدّهرَ ، جائعا
فقولا لهذا اللائمي اليومَ : أعفِني ، فإن أنتَ لم تَفعلْ ، فعضّ الأصابعا
فماذا عساكم أن تقولوا لأختِكم ، سوى عذلكم، أو عذل من كان مانعا؟
وماذا ترونَ اليومَ إلاّ طبيعةً ، فكيف بتركي ، يا ابن أُمِّ، الطبائعا ؟

سفّانة بنت حاتم

ولم تتوقّف جرثومة الكرم عند حاتم ، وإنّما تناولت ابنته سفّانة ، فقد كانت ، كذلك ، من أجود نساء العرب . ذكر ابن الكلبي أنّ أباها كان يعطيها الصِّرمة (القطعة من الإبل) بعد الصرمة من إبله ، فتهبها وتعطيها الناس . فقال لها : يا بنيّة ، إنّ القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه . فإمّا أن أعطي وتمسكي ، أو أمسك وتعطي ، فإنّه لا يبقى على هذا شيء . فقالت : والله لا أمسك أبداً ! قال: وأنا لا أمسك. قالت : لا نتجاور . فقاسمها ماله وتباينا.

أسطورة مولده

ولم يأتِ حاتم هذا العالم كما يأتيه غيره من الناس ، وإنّما بشّرت به الهواتف . فقد روى ابن الأعرابي في ذلك أسطورة قال فيها : إن أم حاتم أُتيت ، وهي حبلى ، في المنام ، فقيل لها : أغلام سمح يقال له حاتم أحبّ إليك أم عشرة غلمة كالناس ، ليوث ساعة الباس ، ليسوا بأوغال (ضعفاء أدنياء) ولا انكاس (جبناء) ؟ فقالت : حاتم ، فولدت حاتماً . وليس اختيارها لحاتم إلاّ تلبية لطبع الكرم فيها .

ولد حاتم في قبيلة طيء ، أبوه عبد الله بن سعد بن الحشرج ، أحد سادات قبيلته ، وأمّه عتبة بنت عفيف . وكان حاتم يكنى بأبي سفّانة[1] ، وسفّانة أكبر ولده ، وبأبي عدي .

وتوفي والد حاتم وهو صغير ، فكان في حجر جدّه سعد بن الحشرج ، وجده هذا ، وإن يكن الذي قال فيه الشاعر :

إنّ المروءة والسّماحة والنّدى في قبّة ضربت على ابن الحشرجِ ،

لم يكن ليستطيع أن يتحمّل إسراف حفيده ، وجنونه في الجود والكرم . قيل انّه لما ترعرع حاتم جعل يخرج طعامه ، فإن وجد من يأكله معه أكل ، وإن لم يجد طرحه . فلمّا رأى جدّه أنّه يهلك طعامه قال له : الحق بالابل ! فخرج إليها ، ووهب له جارية وفرساً وفلوها .

فلمّا أتى الإبل طفق يبغي الناس ، فلا يجدهم ، ويأتي الطريق ، فلا يجد عليه أحداً ، فبينما هو كذلك إذ بصر بركب على الطريق ، فأتاهم فقالوا له : يا فتى ! هل من قرى ؟ فقال : تسألوني عن قرى ، وقد ترون الإبل ؟

[1] السفانة : اللؤلؤة .

وكان ، الذين بصر بهم ، عبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبي خازم ، والنابغة الذبياني ، وكانوا يريدون النعمان ، فنحر لهم ثلاثة من الإبل ، فقال عبيد : إنّما أردنا بالقرى اللبن ، وكانت تكفينا بـَكرة ، إذا كنت ، لا بد ، متكلّفاً لنا شيئاً . فقال حاتم : قد عرفت ، ولكنني رأيت وجوهاً مختلفة وألواناً متفرّقة ، فظننتُ أن البلدان غير واحدة ، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتَى قومه .

فقالوا فيه أشعاراً ، وامتدحوه بها ، فذكروا فعله . فقال حاتم :أردت أن أحسن إليكم ، فكان لكم الفضل عليّ ؛ وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها ، أو تقدموا إليها فتقتسموها . ففعلوا ، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً ، ومضوا على سفرهم إلى النعمان .

وإن جدّه سمع بما فعل ، فأتاه ، فقال له : أين الإبل ؟ فقال له : طوقتك بها ، طوق الحمامة ، مجد الدهر وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أُثني به علينا عوضاً من إبلك . فلمّا سمع جدّه قال : أبإبلي فعلت ؟ قال : نعم ! قال : والله لا أساكنك أبداً . فخرج بأهله وترك حاتماً ، ومعه جاريته وفرسه وفلوها ، وخلّفه في داره ، فقال حاتم أبياتاً ذكر فيها جدّه ومطلعها :

وإني لعفّ الفقرِ ، مشترك الغنى ووُدّك شكلٌ لا يوافقه شكلي

وهذا البيت يدلّنا على خلّتين من خلال حاتم : العفّة في الفقر ، والاشتراكيّة في الغنى .

ولم يكن حاتم كريماً جواداً ، حسب ، وإنّما كان شاعراً ، وشعره شخصي ، ينطق بشخصيّة صاحبه على اختلاف مزاياها . وكان كذلك فارساً موفّقاً في فروسيّته . وقد وصفه ابن الأعرابي وصفاً أحاط بجميع خلالـه وفضائله ، قال : « كان حاتم من شعراء العرب ، وكان جواداً يشبه شعره

جوده ، ويصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله ، وكان مظفراً ، إذا قاتل غَلَب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا سُئل وهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سَبَق ، وإذا أسر أطلق . وكان يقسم بالله أن لا يقتل واحد أمّه ؛ وكان إذا أهلّ الشهر الأصمّ ، الذي كانت مضر تعظّمه في الجاهليّة ، ينحر كلّ يوم عشرة من الإبل ، فأطعم الناس واجتمعوا إليه . »

ويظهر أنّ حاتماً كان مرزوقاً ، فظفره في غزواته كان يقيض له الغنائم ، وقد يأتيه رزقه ، أحياناً ، وهو نائم ، ولا يدري من أين ؟ روى يعقوب بن السّكّيت أسطورة قال فيها : فبينما حاتم ، بعد أن أنهب ماله ، وهو نائم ، إذ انتبه وحوله مائتا بعير ، أو نحوها ، تجول وتحطم بعضها بعضاً ، فساقها إلى قومه ، فقالوا : يا حاتم ! ابقِ على نفسك ، فقد رُزقت مالاً ، ولا تعودنّ إلى ما كنت عليه من الإسراف . قال : فإنّها نهبَى بينكم ، فانتهبت ، فأنشأ حاتم يقول :

تداركني جدّي ، بسفحِ متالعٍ ، فلا ييْأسَنْ ذو نومَةٍ أن يُغنّما

هكذا ظلّ حاتم على حاله من إطعام طعامه ، وإنهاب ماله ، حتى مضى لسبيله .

جود حاتم بعد موته

على أن مضيّه لسبيله لم يحرم عفاته من قراه ، وهو في عالم الأرواح ، وكما أن الرواة اخترعوا أسطورة عن مولده ، وضعوا كذلك أسطورة عن جوده بعد موته . قالوا :

« كان رجل يقال له أبو الخيبري ، مرّ في نفر من قومه بقبر حاتم ، وحوله أنصابٌ متقابلاتٌ من حجارة كأنّهنّ نساءٌ نوائح ، فنزلوا به ،

فبات أبو الحيبري ليلته كلّها ينادي : أبا جعفر اقرِ أضيافك . فيقال له : مهلاً ! ما تكلّم من رمّة بالية . فقال : إن طيئاً يزعمون أنّه لم ينزل به أحد إلاّ قراه . فلمّا كان من آخر الليل نام أبو الحيبري ، حتى إذا كان في السحر وثب ، فجعل يصيح : واراحلتاه ! فقال له أصحابه : ويلك ما لك ؟ قال : خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظر إليه حتى عقر ناقتي . قالوا : كذبت . قال : بلى . فنظروا إلى راحلته فإذا هي منخزلة لا تنبعث . فقالوا : قد والله قراك . فظلّوا يأكلون من لحمها ثمّ أردفوه ، فانطلقوا . فساروا ما شاء الله . ثمّ نظروا إلى راكب ، فإذا هو عديّ بن حاتم راكباً قارناً جملاً أسود فلحقهم فقال : أيكم أبو الحيبري ؟ فقالوا : هو هذا . فقال : جاءني أبي في النوم فذكر لي شتمك إيّاه وانّه قرى راحلتك لأصحابك ، وقد قال في ذلك أبياتاً ورددها حتى حفظتها وهي :

أبا الحَيبريّ ، وأنتَ امرؤٌ ، حَسودُ العشيرةِ ، شتّامُها
فماذا أردتَ إلى رِمّةٍ ، بدويّةٍ ، صَخِبٍ هامُها[1]
تُبَغّي أذاها وإعسارها ، وحَوْلَكَ غَوْثٌ ، وأنعامُها
وإنّا لَنُطْعِمُ أضيافَنا ، من الكُوم ،بالسّيفِ نعتامُها[2]

وقد أمرني أن أحملك على جمل فدونكه . فأخذه وركبه وذهبوا . »

هذا هو حاتم ، سيد كريم النجار ، كريم اليد حتى الجنون ، مسماح

١ الرمة : العظم البالي . الدوية : البرية .
٢ الكوم : القطعة من الإبل . نعتامها : نتخذ خيارها .

حتّى إفقار نفسه ، عفيف في فقره ، ونظره ولسانه ، شاعر شخصي ، إنساني ، اشتراكي ، ليس من شيمته قتل واحد أمّه ، ولا الشتم ، ولا إخلاف من يرتجيه ، شخص جعله الرواة بين أشخاص الأساطير ، ولا يزال ، حتّى اليوم ، يُضرب المثل في جوده وكرمه .

كرم البستاني

بعض أخبار حاتم

مماجدة حاتم وبني لأم

قال ابن الأعرابي : خرج الحكم بن أبي العاصي ومعه عطرٌ يريد الحيرةَ . وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع إليه الناس كلَّ سنة . وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأمٍ بن عمرو ربعَ الطريق طعمةً لهم ، وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان ، وكانوا أصهاره . فمرَّ الحكم بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله فسأله الجوار في أرض طيء ، حتى يصير إلى الحيرة . فأجارهُ . ثمَّ أمر حاتم بجزور فنُحرت وطُبخت أعضاء ، فأكلوا ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمّهِ . فلمّا فرغوا من الطعام طيّبهم الحكم من طيبهِ ذلك . فمرَّ حاتم بسعد بن حارثة بن لأم وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان وحاتم على راحلته وفرسُه تُقاد . فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حيّاكم الله .

فقالوا : من هؤلاء معك يا حاتم ؟

قال : هؤلاء جيراني .

قال لهُ سعد : فأنت تُجير علينا في بلادنا .

قال له : أنا ابن عمّك وأحقّ من لم تخفروا ذمّتهُ .

فقالوا : لستَ هناك . وأرادوا أن يفضحوه كما فُضح عامر بن جُوَين قبلَه . فوثبوا إليه فتناول سعد بن حارثة بن لأم حاتماً ، فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفهِ ووقع الشرّ حتى تحاجزوا . فقال حاتم في ذلك :

ودِدْتُ ، وبَيتِ اللهِ ، لوَ انّ أنفَهُ هواءٌ ، فما متَّ المُخاطَ عن العظمِ[1]
ولكنّما لاقاهُ سَيفُ ابنِ عَمّهِ ، فأبّ ، ومرّ السّيفُ منه على الخَطمِ[2]

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ونضع الرهن . ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس رهناً على يدي رجل من كلْب يقال له امروء القيس ابن عديّ ، ووضع حاتم فرسه . ثمّ خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة . وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر ويقوّيهم بمالهِ وسلطانهِ للصهر الذي بينهم وبينهُ . فجمع إياس رهطهُ من بني حية وقال : يا بني حيّة إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمّكم في مماجدة .

فقال رجل من بني حيّة : عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء ادماء .

وقام آخر فقال : عندي عشرة حُصُن على كلّ حصان منها فارس مدجّج لا يُرى منه إلاّ عيناه .

وقال حسّان بن جبلة الخير : قد علمتم أن أبي قد مات وترك كلأً كثيراً فعليّ كلّ خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة .

ثمّ قام إياس فقال : عليّ مثل جميع ما أعطيتم كلكم .

قال : وحاتم لا يعلم بشيء ممّا فعلوا . وذهب حاتم إلى مالك بن جبّار ابن عمّ له بالحيرة كان كثير المال فقال : يا ابن عمّ اعنّي على مخابلتي[3] . ثمّ أنشد :

يا مالِ ! إحدى صُرُوفِ الدّهرِ قد طَرَقَتْ ،
يا مالِ ! ما أنْتُمُ عَنهـا بِنُزّاحِ[4]

١ مت : مد .
٢ أب : رد يده إلى السيف ليستله ، تهيأ .
٣ المخابلة : المفاخرة .
٤ مال : مرخم مالك . النزاح : المتباعدون .

يا مالِ ! جاءَتْ حِياضَ المَوْتِ ، وارِدَةً ،
من بَيْنِ غَمْرٍ ، فَخُضْناهُ ، وضَحْضاحِ[1]

فقال له مالك : ما كنتُ لأحربَ نفسي ولا عيالي وأُعطيك مالي . فانصرف عنه وقال مالك في ذلك قوله :

إنّا بني عمّكم ما إن نباعلكم ، ولا نجاوركم إلاّ على ناحِ[2]
وقد بلوتُكَ ، إذ نلتَ الثراء ، فلم أُلفِك بالمالِ إلاّ غيرَ مرتاحِ

ثمّ أتى حاتم ابن عمٍّ له يقال له وهم بن عمرو . وكان حاتم يومئذ مصارماً له لا يكلّمه . فقالت له امرأته : اي وهمُ هذا والله أبو سفّانة حاتم قد طلع .

فقال : ما لنا ولحاتم ، اثبتي النظر .

فقالت : ها هو .

قال : ويحك هو لا يكلمني فما جاء به إليّ ؟

فنزل حتى سلّم عليه . فردّ سلامه وحيّاه ثمّ قال له : ما جاء بك يا حاتم ؟

قال : خاطرت على حسبك وحسبي .

قال : في الرحب والسعة ، هذا مالي .

قال : وعدّته يومئذ تسعمائة بعير ، فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد .

فقالت امرأته : يا حاتم أنت تخرجنا من مالنا وتفضح صاحبنا ، تعني زوجها.

١ حياض الموت : جعل للموت حياض ماء يردها الناس ، وذلك على الاستعارة . الغمر : الماء الكثير . الضحضاح : الماء اليسير أو القريب القعر .
٢ نباعلكم : نماجدكم ، نغالبكم بالمجد . ناح : جمع ناحية .

فقال : اذهبي عنك فوالله ما كان الذي غمّك ليردّني عمّا قِبَلي .

وقال حاتم :

ألا أبْلِغا وَهْمَ بنَ عَمْرٍو رِسالةً ، فإنّكَ أنتَ المَرءُ بالخَيرِ أجدَرُ
رأيْتُكَ أدنَى النّاسِ منّا قَرابَةً ، وغَيرَكَ مِنْهُم كنتُ أحبو وأنصُرُ[1]
إذا ما أتَى يَوْمٌ يُفَرّقُ بَيْنَنَا بمَوْتٍ، فكُنْ يا وَهْمُ ذو يَتأخّرُ[2]

قالوا : ثمّ قال إياس بن قبيصة : احملوني إلى الملك ، وكان به نِقْرِس ، فحُمل حتى أُدخل عليه . فقال : انعم صباحاً أبيتَ اللعن .

فقال النعمان : وحيّاك إلهك .

فقال إياس : أتمدّ أختانك بالمال والخيل وجعلت بني ثُعل في قعر الكنانة ؟ أظَنّ أختانُك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جُوَين ولم يشعروا أن بني حية بالبلد ؟ فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفحَ الوادي دماً ، فليْحضروا مجادهم غداً بمجمع العرب .

فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه فقال له النعمان : يا أحلمنا لا تغضب فإني سأكفيك .

وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه : انظروا ابن عمكم حاتماً فأرضوه ، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونهُ وما أطيق بني حيّة .

فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له : اعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمّنا .

قال : لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويُغلب مجادكم .

١ أحبو : أعطي .
٢ ذو في لغة طي : معناها الذي .

فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبّحها الله وأبعدها فإنّما هي مقارف .

فعمد إليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر .

حاتم وماوية بنت عفزر

قال : كنّا عند معاوية فتذاكرنا ملوك العرب حتى ذكرنا الزّبّاء وابنة عفزر . فقال معاوية : إني لأحبّ أن أسمعَ حديث ماويّة وحاتم ، وماويّة هي بنتُ عفزر .

فقال رجلٌ من القوم : أفلا أحدّثك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : بلى .

فقال : إنّ ماويّة بنتَ عفزر كانت ملكة وكانت تتزوّج من أرادت . وانّها بعثت غلماناً لها وأمرتهم أن يأتوها بأوسم من يجدونهُ بالحيرة فجاؤوها بحاتم . فقالت له : استقدم .

فقال : حتى أخبرك .

وقعد على الباب وقال : إني أنتظر صاحبين لي .

فارتابت منه وسقتهُ خمراً ليسكر فجعل يهريقهُ بالباب فلا تراه تحت الليل . ثمّ قال : ما أنا بذائق قِرًى ولا قارّ حتى أنظر ما فعل صاحباي .

فقالت : إنّا سنرسل إليهما بقرى .

فقال حاتم : ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما .

قال فأتاهما فقال : أفتكونان عبدين لابنة عفزر ترعيان غنمها أحب إليكما أم تقتلكما ؟

فقالا : كلّ شيءٍ يُشبهُ بعضهُ بعضاً وبعض الشرّ أهون من بعض .

فقال حاتم : الرحيل والنجاة .

وذكروا أن حاتماً دعته نفسه إليها بعد انصرافه من عندها ، فأتاها يخطبها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبيت . فقالت لهم : انقلبوا إلى رحالكم وليقلْ كلّ واحدٍ منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإني أتزوّج أكرمكم وأشعركم . فانصرفوا ونحر كلّ واحدٍ منهم جزوراً ولبست ماويّة ثياباً لأمَةٍ لها وتبعتهم . فأتت النّبيّي فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثيل جمله فأخذته . ثمّ أتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته . ثمّ أتت حاتماً وقد نصب قدره فاستطعمته فقال لها : قفي حتى أعطيكِ ما تنتفعين به إذا صار إليكِ . فانتظرت فأطعمها قطعاً من العجز والسنام ومثلها من المخدش وهو عند الحارك . ثمّ انصرفت . وأرسل كلّ واحدٍ منهم إليها ظهر جمله وأهدى حاتم إلى جاراته مثل ما أرسل إليها ، ولم يكن يترك جاراته إلاّ بهدية ، وصبّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النَّبيتي :

هلاّ سألتِ النّبيتيّين ما حسبي ، عند الشتاءِ ، إذا ما هبّتِ الرّيحُ
وَردّ جازرُهم حَرفاً مصرَّمةً ، في الرأس منها وفي الاشلاء تمليحُ
إذا الرّياحُ غدتْ ملقًى أصرّتها ، ولا كريمٌ منَ الوِلدانِ مصبوحُ
وقال رائدُهم : سيّان ما لهمُ مثلان ، مثلٌ لمن يرعى وتسريحُ

فقالت له : لقد ذكرت مَجهدَة . ثمّ استنشدت النابغة فأنشدها يقول :

هلاّ سألتِ بني ذبيانَ ما حَسَبي ، إذا الدّخان تغشّى الأشمط البرما
وهبّت الرّيحُ من تِلقاءِ ذي أزَلٍ ، تزجي ، مع الليل ، من صرّادها الصرما
إني أتمّمُ أيساري ، وأمنحهم مثنى الأيادي ، وأكسو الجفنة الأدما

فلمّا أنشدها قالت : ما ينفك الناس بخير ما ائتدموا . ثمّ قالت : يا أخا طيّء أنشدني . فأنشدها أبياته التي مطلعها :

أماويّ ! قد طالَ التّجَنّبُ والهَجرُ وقد عذَرَتْني ، منْ طِلابكمُ ، العذرُ

فلمّا فرغ حاتم من إنشاده دعت بالغداء ، وكانت قد أمرت إماءها أن يقدّمن إلى كلّ رجل منهم ما كان أطعمها . فقدمن إليهم ما كانت أمرتهنّ أن يقدّمنه إليهم . فنكس النبيّي رأسه والنابغة . فلمّا نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قُدّم إليهما وأطعمهما بما قُدّم إليه ، فتسلّلا لواذاً وقالت : إن حاتماً أكرمكم وأشعركم. فلمّا خرج النبيّي والنابغة قالت لحاتم : خلّ سبيل امرأتك ، فأبَى فزوّدته وردّته . فلمّا انصرف دعته نفسه إليها ، وماتت امرأته فخطبها فتزوّجته فولدت عديّاً .

ماوية تطلق حاتماً

وإن ابن عمٍّ لحاتم كان يقال له مالك قال لماويّة امرأة حاتم : ما تصنعين بحاتم ، فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنّه وإن لم يجد ليتكلفن ، وإن مات ليتركنّ ولده عيالاً على قومك .

فقالت ماويّة : صدقت ، إنّه كذلك .

وكان النساء أو بعضهن يطلّقنَ الرجال في الجاهليّة ، وكان طلاقهن أنهن إن كنّ في بيتٍ من شعر حوّلن الخباء ، إن كان بابُه قِبَل المشرق حوّلنَه قِبَلَ المغرب ، وإن كان بابه قبل اليمن حوّلنه قبل الشام . فإذا رأى ذلك الرجل علِم أنّها قد طلّقته فلم يأتها .

وإنّ ابن عمّ حاتم قال لماويّة وكان أحسن الناس : طلّقي حاتماً وأنا أتزوّجك وأنا خير لك منه وأكثر مالاً وأنا أُمسك عليك وعلى ولدك .

فلم يزل بها حتّى طلّقت حاتماً . فأتاها حاتم وقد حوّلت باب الخباء فقال : يا عدي ما ترى أملك عدا عليها ؟

قال : لا أدري غير أنّها قد غيّرت باب الخباء .

وكأنّه لم يلحن لما قال . فدعاه فهبط به بطن وادٍ . وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون فتوافوا خمسين رجلاً . فضاقت بهم ماويّة ذرعاً وقالت لجاريتها : اذهبي إلى مالك فقولي له : إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأرسل بنابٍ نقرهم ولبن نغبقهم .

وقالت لجاريتها : انظري إلى جبينه وفمه . فإن شافهك بالمعروف فاقبلي منه وإن ضرب بلحيته على زوره وأدخل يده في رأسه فاقفلي ودعيه .

وإنّها لما أتت مالكاً وجدته متوسداً وطباً من لبن وتحت بطنه آخر . فأيقظته . فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره . فأبلغته ما أرسلتها به ماوية وقالت : إنّما هي الليلة حتّى يعلم الناس مكانه .

فقال لها : اقرئي عليها السلام وقولي لها : هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتماً فيه فما عندي من كبيرة . قد تركت العمل وما كنت لأنحرَ صفية غزيرة بشحم كلاها وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم .

فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه وما قال . فقالت : ائتي حاتماً فقولي إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا ولم يعلموا بمكانك فأرسل إلينا بناب ننحرها ونقرهم وبلبن نسقيهم فإنّما هي الليلة حتّى يعرفوا مكانك .

فأتت الجارية حاتماً فصرخت به . فقال حاتم : لَبّيْكِ قريباً دعوتِ .

فقالت : إنّ ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك : إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة فأرسل إليهم بناب ننحرها لهم ولبن نسقيهم .

فقال : نعم وأبي .

ثمّ قام إلى الإبل فأطلق ثنيّتين من عقاليهما ثمّ صاح بهما حتّى أتى الخباء

فضرب عراقيبهما . فطفقت ماويّة تصيح وتقول : هذا الذي طلّقتك فيه ، تترك ولدك وليس لهم شيء . فقال حاتم :

هل الدّهرُ إلاّ اليومُ ،أو أمس،أوغدُ كذاك الزمانُ ، بيننا ، يتَرَدّدُ

حاتم في الأسر

أسرت عنزة حاتماً فجعل نساء عنزة يدارين بعيراً ليفصدنه فضعفن عنه فقلن : يا حاتم أفاصدُهُ أنت إن أطلقنا يديك ؟ قال : نعم . فأطلقنَ إحدى يديه فوجأ لبّتهُ فاستدمينه . ثمّ إن البعير عضد أي لوى عنقه أي خرّ فقلنَ : ما صنعت ؟ قال : هكذا فصادي[1] ، فجرت مثلاً . قال : فلطمتهُ إحداهنّ . فقال : ما أنتنّ نساء عنزة بكرام ، ولا ذوات أحلام . وإنّ امرأة منهنّ يقال لها عاجزة أُعجبت به فأطلقته ولم ينقموا عليه ما فعل . فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده :

كذلِكَ فَصْدي إنْ سألتُ مَطِيّتي دَمَ الجوْفِ،إذ كلّ الفِصادِ وَخيمُ

حاتم وركب بني أسد

أقبل ركبٌ من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتماً فقالوا له : إنّا تركنا قومنا يثنون عليك خيراً وقد أرسلوا رسولاً برسالة . قال : وما هي ؟ فأنشده الأسديّون شعراً لعبيد ولبشر يمدحانه وأنشد القيسيون شعراً للنابغة . فلمّا أنشدوه قالوا : إنّا نستحيي أن نسألك شيئاً وإن لنا لحاجة . قال : وما هي ؟ قالوا : صاحبٌ لنا قد أرجل . فقال حاتم : خذوا فرسي هذه فاحملوا

١ ويروى : هذا فزدي أي فصدي .

عليها صاحبكم . فأخذوها . وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت فاتبعته الجارية . فقال حاتم : ما تبعكم من شيء فهو لكم . فذهبوا بالفرس والفلو والجارية . وإنّهم وردوا على أبي حاتم فعرف الفرس والفلو فقال : ما هذا معكم ؟ فقالوا : مررنا بغلام كريم فسألناه فأعطى الجسيم .

حاتم والأسير

وزعموا أن حاتماً خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة، فلمّا كان بأرض عنزة ناداه أسيرٌ لهم : يا أبا سفّانة أكلني الإسار والقمل .

قال : ويلك والله ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء وقد أسأت بي إذ نوّهت باسمي .

فساوم به العنزيين فاشتراه منهم فقال : خلّوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيدٍ حتى أؤدّي فداءه . ففعلوا فأتى بفدائه .

حاتم والصبية الجياع

وحدّث الهيثم بن عديّ عمّن حدّثهُ عن ملحان ابن أخي ماويّة امرأة حاتم قال : قلتُ لماويّة : يا عمّة حدّثيني ببعض عجائب حاتم . فقالت : كل أمره عجب فعن أيّهِ تسأل ؟ قال قلتُ : حدّثيني ما شئتِ . قالت : أصابت الناسَ سنةٌ فأذهبت الخف والظلف . فأتت ليلة قد أسهرنا الجوع . قالت : فأخذ عديّاً وأخذتُ سفّانة وجعلنا نعلّلهما حتى ناما . ثمّ أقبل عليّ يحدّثني ويعلّلني بالحديث كي أنام فرققت له لما به من الجهد ، فأمسكت عن كلامه لينام فقال لي : انمتِ غراراً ؟ فلم أُجب فسكت فنظر في فتق الخباء فإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأةٌ فقال : ما هذا ؟ قالت : يا أبا سفّانة

أتيتك من عند صبية جياع يتعاوون كالذئاب جوعاً . فقال : احضريني صبيانك فوالله لأشبعنّهم . قالت : فقمتُ سريعاً ، فقلتُ : بماذا يا حاتم ؟ فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلاّ بالتعليل . فقال : والله لأشبعنّ صبيانك مع صبيانها . فلمّا جاءت قام إلى فرسه فذبحها ثمّ قدح ناراً ثمّ أججّها ثمّ دفع إليها شفرة فقال : اشتوي وكلي . ثمّ قال : أيقظي صبيانك . فأيقظتهم ثمّ قال : والله إنّ هذا للؤم ، تأكلون وأهل الصرم حالهم مثل حالكم . فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً فيقول : انهضوا ، عليكم بالنار . قال : فاجتمعوا حول تلك الفرس وتقنّع بكسائه فجلس ناحيةً فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلاّ عظم وحافر . وإنّه لأشدّ جوعاً منهم وما ذاقه .

أسير حاتم

غزت فزارة طيئاً وعليهم حصين بن حذيفة وخرجت طيء في طلب القوم . فلحق حاتم رجلاً من بني بدر فطعنه ثمّ مضى فقال : إن مرّ بك أحدٌ فقل له : أنا أسير حاتم . فمرّ به أبو حنبل فقال : من أنت ؟ قال : أنا أسير حاتم . فقال له : إنّه يقتلك فإن زعمت لحاتم أو لمن سألك أني أسرتك ثمّ صرت في يدي خلّيت سبيلك . فلمّا رجعوا قال حاتم : يا أبا حنبل خلّ سبيل أسيري . فقال أبو حنبل : أنا أسرته . فقال حاتم : قد رضيت بقوله . فقال : أسرني أبو حنبل . فقال حاتم :

إنّ أباكَ الجَوْنَ لم يكُ غادِراً ، ألا مِنْ بني بَدْرٍ أتَتكَ الغَوائِلُ

نار القرى

وكان إذا جنّ الليل يوعز إلى غلامه أن يوقد النار في يفاع من الأرض لينظر إليها من أضلّهُ الطريق فيأوي إلى منزله ويقول :

أوقِدْ ، فإنّ اللّيلَ لَيلٌ قَرٌّ ، والرّيحُ ، يا مُوقِدُ ، ريحٌ صِرٌّ
عسَى يرَى نارَكَ مَنْ يَمُرُّ ، إنْ جَلَبتْ ضَيْفاً ، فأنتَ حُرُّ

حاتم وقيصر الروم

قيل إن أحد قياصرة الروم بلغته أخبار جود حاتم فاستغربها . وكان قد بلغه أن لحاتم فرساً من كرام الخيل عزيزةً عنده ، فأرسل إليه بعض حجّابه يطلب منه الفرس هديّة إليه ، وهو يريد أن يمتحن سماحته بذلك . فلمّا دخل الحاجب ديار طيّ سأل عن أبيات حاتم طيّ حتى دخل عليه فاستقبله أحسن استقبال ورحّب به ، وهو لا يعلم أنّه حاجب الملك . وكانت المواشي في المرعى ، فلم يجد إليها سبيلاً لقرى ضيفه فنحر الفرس وأضرم النار .

ثمّ دخل إلى ضيفه يحادثه فأعلمه أنّه رسول قيصر قد حضر يستميحه الفرس ، فساء ذلك حاتماً وقال : هلاّ أعلمتني قبل الآن ، فإني قد نحرتُها لك إذ لم أجد جزوراً غيرها . فعجب الرسول من سخائه وقال : والله لقد رأينا منك أكثر ممّا سمعنا .

حاتم على الشراب

قيل إن حاتماً جلس يوماً للشراب ودعا إليه من كان في الحلّة فحضروا وكانوا ينيفون على مائتي رجل . فلمّا فرغوا من شرابهم وأرادوا الانصراف أعطى كلّ واحد منهم ثلاثاً من النوق .

لا أرسو ولا أتمعد

وروى القاضي التنوخي عن أبي صالح قال : أنشدني ابن الكلبي لحاتم :

إلَـهُـهُـمُ رَبّي ورَبّي إلَـهُـهُـمْ ، فأقسَمتُ لا أرسو ولا أتمعّدُ[1]

حاتم وأوس بن حارثة

ويُروى عن أبي صالح أنّه قال : أخبرنا أبو المنذر عن أبيه قال : وفد أوس بن حارثة بن لأم الطائي وحاتم بن عبد الله مع ناس من العرب على النعمان بن المنذر بالحيرة ، فقال لإياس بن قبيصة : الطائي الغوثيّ ثمّ الطائي أيّهما أفضل ؟ قال : أبيت اللعن ، إني من أحدهما ولكن سلهما عن أحدهما يجيباك . فدخل عليه أوس فقال : أنت أفضل أم حاتم ؟ قال : أبيت اللعن ، لو كنت أنا وولدي لحاتم لأنهبنا غداةً واحدةً . ثمّ دخل عليه حاتم فقال : يا حاتم أنت أفضل أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن ، لشرّ أوس خيرٌ مني . فنفل كلاًّ منهما مائة من الإبل .

حرما خير حاتم

وبروايتهم عن ابن الكلبي قال : أسرت بنو القذان من عنزة كعب بن مامة الإيادي وحاتم طيّءٍ والحارث بن ظالم . وكان أسر حاتماً رجلان عمرو وأبو عمرو فأطلقاه على الثواب فلم يأتياه مخافة أن يأتيا طيئاً فتأسرهما. فقال :

لَعمرُ أبي عمرٍو وعمرٍو كليهما لقد حُرِما من حاتمٍ خَيرَ حاتمِ

---

١ ارسو ، من الرسو : وهو لفظ السين والصاد زاياً ، فيقال مثلا : للصقر زقر ، ولسقر زقر . لا أتمعد : لا أتزيا بزي معد ، ولا ألفظ لفظها .

من هو السيد ؟

وروى أبو صالح عن بعض أهل العلم : أنّه تذاكر فتية في الكوفة السؤدد . فأشكل عليهم . فتجمّعوا وأتوا عديّ بن حاتم . فدعا لهم بتمر ولبن . فأكلوا ثمّ قال : سألتم عن السؤدد . قالوا : نعم . قال : السيد فينا المنخدع في ماله . الذليل في عرضه . المطّرح لحقده . المتعاهد لعامته .

وصية حاتم

ويروى عن أبي صالح : أن حاتماً أوصى عند موته فقال : إني أعهدكم من نفسي بثلاث : ما خاتلتُ جارة لي قطُّ أراودها عن نفسها . ولا اؤتمنت على أمانة إلاّ قضيتها . ولا أتَى أحدٌ من قِبَلي بسوءة أو قال بسوء .

وكان حاتم رجلاً طويل الصمت . وكان يقول : إذا كان الشيء يكفيكه الترك فاتركه .

حرف الباء

حافظ الود

قال حاتم يخاطب الحارث بن عمرو والد النعمان حينما أطلق هذا من كان أسرهم من رهط حاتم :

أبلِــغِ الحارِثَ بنَ عَمـْرٍو بأنّي ... حافِظُ الوُدّ ، مُرْصِدٌ للصّوابِ[1]

ومُجيبٌ دُعاءَهُ ، إنْ دَعاني ، ... عَجِلاً ، واحِداً ، وذا أصْحابِ

إنّما بَيْنَنا وبَيْنَكَ ، فاعْلَمْ ، ... سَيرُ تِسْعٍ ، للعاجِلِ المُنْتابِ

فثَلاثٌ مِنَ السَّراةِ إلى الحُلْبُطِ ... للخَيْلِ ، جاهِداً ، والرّكابِ[2]

وثَلاثٌ يُرِدْنَ تَيْماءَ رَهْواً ؛ ... وثَلاثٌ يُغْرِرْنَ بالإعْجابِ[3]

فإذا ما مَرَرْتَ في مُسْبَطِرٍّ ، ... فاجمحِ الخيلَ مثلَ جَمحِ الكِعابِ[4]

١ مرصد : مكافيء .

٢ السراة والحلبط : موضعان .

٣ الرهو : السير السهل . يغررن : يطمعن .

٤ المسبطر : أراد أرضاً منبسطة . اجمح الخيل : ارم بها كما يرمى بالكعاب ، فصوص النرد ، العظام التي تلعب بها الأولاد ، الواحد كعب .

بَينما ذاكَ أصْبحتْ، وهيَ عضْدي مِنْ سُبيٍّ مَجْمُوعَةٍ ، ونِهابِ[1]

ليتَ شِعْري ، متى أرى قُبّةً ذاتَ قِلاعٍ للحارِثِ الحَرّابِ[2]

بيَفاعٍ ، وذاكَ مِنها مَحَلٌّ ، فوْقَ مَلْكٍ ، يَدين بالأحْسابِ[3]

أيّها المُوعِدي ، فإنّ لَبُوني بينَ حَقْلٍ ، وبَينَ هَضْبِ ذُبابِ[4]

حَيثُ لا أرْهَبُ الخُزاةَ ، وحَوْلي ثُعَلِيّونَ ، كاللّيوثِ الغِضابِ[5]

١ عضدي : قوتي . السبي : ما يسبى . نهاب : ما ينهب . يقول : إن قومه وهم قوته أصبحوا ما بين مسبيين ومنتهبين .

٢ الحراب ، فعال من حربه ماله : سلبه . والحراب : حامل الحربة وصانعها .

٣ اليفاع : المرتفع من الأرض .

٤ الموعد : المهدد . لبوني : أراد نياقي ، أو مواشي الكثيرة اللبن . الهضب : الجبل المنبسط . وهضب ذباب : جبل بالمدينة .

٥ الخزاة : الهوان والذل . ثعليون : منسوبون إلى قبيلة ثعل .

شر الصعاليك

ومَرْقَبَةٍ دونَ السّماءِ علَوْتُها ، أُقلّبُ طَرْفي في فَضاءِ سَباسِبِ[1]
وما أنا بالماشي إلى بَيْتِ جارَتي ، طَرُوقاً ، أُحَيّيها كآخَرَ جانِبِ[2]
ولوْ شَهِدَتْنا بالمُزاحِ لأيْقَنَتْ ، على ضُرّنا ، أنّا كِرامُ الضّرائِبِ[3]
عَشِيّةَ قالَ ابنُ الذّئيمَةِ ، عارِقٌ : إخالُ رئيسَ القوْمِ ليسَ بآئِبِ[4]
وما أنا بالسّاعي بفَضْلِ زِمامِها ، لِتَشرَبَ ما في الحَوْضِ قبلَ الرّكائبِ[5]
فما أنا بالطّاوي حَقيبَةَ رَحْلِها ، لأرْكَبَها خِفّاً ، وأترُكَ صاحبي[6]
إذا كُنتَ رَبّاً للقَلُوصِ ، فلا تَدَعْ رَفيقَكَ يَمشِي خَلفَها ، غيرَ راكِبِ[7]

١ المرقبة : الموضع المرتفع يعلوه الرقيب . السباسب ، الواحد سبسب : المفازة .
٢ الجانب : الغريب .
٣ الضرائب ، الواحدة ضريبة : الطبيعة والسجية .
٤ الذئيمة : المذمومة ، المحقرة ، المخزية . وربما كانت هنا لقباً لامرأة بعينها . عارق : اسم رجل . آئب : راجع .
٥ يقول : لا أتسرع في الورد مستعجلا براحلتي لأشرب ماء الحوض قبل ورود ركائبهم. ومعنى قوله : بالساعي بفضل زمامها ، أي بما أعطي راحلتي من زمامها ، وهذا مثل . الركائب ، الواحدة ركوبة : اسم لما يركب .
٦ يقول : إذا كان لي رفيق في السفر وسعت جنابي له ولا أتركه يمشي ، وقد خففت رحل ناقتي للإبقاء عليها ولكني أردفه ، واركبه ورائي . الحقيبة : ما يشد خلف الرحل .
٧ القلوص : الناقة الشابة .

أنِخْها ، فأرْدِفْهُ ، فإنْ حملَتكُما ، فذاكَ ، وإنْ كانَ العِقابُ فعاقِبِ[1]
ولستُ ، إذا ما أحدَثَ الدّهرُ نكبَةً ، بأخضَعَ وَلاّجٍ بُيُوتَ الأقارِبِ[2]
إذا أوْطَنَ القَوْمُ البُيوتَ وجَدْتَهُمْ عُماةً عنِ الأخبارِ، خُرْقَ المكاسِبِ[3]
وشَرُّ الصّعاليكِ ، الذي هَمُّ نَفْسِهِ حَديثُ الغَواني واتّباعُ المآرِبِ[4]

يبغي وجه الله

فلَوْ كانَ ما يُعْطي رِياءً لأمْسَكَتْ به ِ جَنَباتُ اللّوْمِ ، يجذِبْنَهُ جَذْبَا
ولكِنّما يَبغي به ِ اللهَ وَحْدَهُ ، فأعْطِ ، فقد أرْبحتَ ، في البيعة ، الكَسْبا

١ انخها : اركبها . أردفه : أركبه وراءك. العقاب: المناوبة في الركوب ، أي أن يركب الواحد نوبة والآخر أخرى .
٢ الأخضع : الراضي بالذل . الولاج : الدخال .
٣ أوطن : أقام . الخرق : سوء التصرف ، الحمق ، الجهل .
٤ الغواني ، الواحدة غانية : من استغنت بجمالها الطبيعي عن التجمل .

حرف التاء

ترفعه عن الدنايا

كريمٌ ، لا أبيتُ اللّيْلَ ، جادٍ ، أعَــدّدُ بالأناملِ ما رُزِيتُ[1]
إذا ما بِتُّ أشرَبُ ، فوْقَ رِيٍّ ، لسُكْرٍ في الشّرابِ ، فلا رَوِيتُ[2]
إذا ما بِتُّ أختِلُ عِرْسَ جاري ، ليُخْفِيَني الظّلامُ ، فَلا خَفِيتُ[3]
أأفضَحُ جارَتي وأخونُ جاري ؟ مَعاذَ اللهِ أفعَلُ ما حَيِيتُ

١ الجادي : السائل . رزيت ، أي رزئت به : أصبت به .
٢ فوق ري : أي فوق ما يكفيني للارتواء .
٣ أختل : أخادع . العرس : الزوجة .

يعقر ناقته لضيفه

قال ابن الكلبي : قال أبو سحيم الكلابي :
ضاف حاتماً ضيف في سنة لم يقدر على شيء وله ناقة يسافر عليها يقال لها أفعى ، فعقرها وأطعم أضيافه قسمها وبعث إلى عياله بقسمها الآخر وقال حاتم في ذلك :

لمّـا رَأيْـتُ الناسَ هـَرّتْ كِـلابُـهُـمْ ، ضرَبْـتُ بسَيفي ساقَ أفعَى فخَـرّتِ
فقلتُ لأصْباهٍ صِغارٍ ونِسوَةٍ ، بشَهْباءَ ، مِنْ لَيل الثّلاثينَ قَرّتِ[1]
عَلَيكُمْ مِنَ الشّطّينِ كلَّ وَرِيّةٍ ، إذا النارُ مَسّت جانِبَيها ارْمَعَلّتِ[2]
ولا يُنْزِلُ المَرْءُ الكَريمُ عِيالَهُ وأضْيافَهُ ، ما ساق مالاً ، بضَرّتِ[3]

١ أصباه : جمع صبي . شهباء ، أي ليلة شهباء : مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر ، أو كثيرة الثلج . ليل الثلاثين : أشد الليالي ظلمة . قرت : بردت .
٢ الشطان : جانبا السنام . الورية : السمينة . ارمعلت : سال دسمها .
٣ بضرة : أي بشدة وضيق وسوء حال . والأصل أن تكتب هذه اللفظة بالتاء المربوطة ، وكتبت هنا بالتاء المبسوطة اتباعاً لتاء الروي المبسوطة في سائر الأبيات .

حرف الحاء

نعما محل الضيف

نِعِمّا مَحَلُّ الضّيفِ، لو تَعلَمينَهُ، بلَيْلٍ، إذا ما استَشرَفَتهُ النّوابِحُ[1]
تَقَصّى إليّ الحَيَّ، إمّا دَلالَةً عليّ، وإمّا قادَهُ لِيَ ناصِحُ[2]

يا مال

يا مالِ! إحدى صرُوفِ الدهرِ قد طرَقتْ يا مالِ! ما أنتُمُ عنها بنُزّاحِ[3]
يا مالِ! جاءتْ حِياضَ الموْتِ، وارِدةً من بينِ غَمْرٍ، فخُضْناهُ، وَضَحضَاحِ[4]

١ استشرفته : جعلته يستشرف باسطاً كفه فوق حاجبه لينظر . النوابح : الكلاب .
٢ تقصى : أي بلغ الغاية في البحث عني .
٣ مال : مرخم مالك . النزاح : المتباعدون .
٤ حياض الموت : جعل للموت حياض ماء يردها الناس ، وذلك على الاستعارة . الغمر : الماء الكثير . الضحضاح : الماء اليسير أو القريب القعر .

حرف الدال

لا امشي الى سر جارة

هلِ الدّهرُ إلاّ اليومُ ، أوْ أمسِ ، أوْ غدُ كذاكَ الزّمانُ ، بَينَنا ، يتَرَدّدُ
يَرُدّ علَيَنا لَيْلَةً بَعدَ يَوْمِها ، فلا نَحنُ ما نَبقى ، ولا الدّهرُ يَنفدُ
لنا أجَلٌ ، إمّا تَناهَى إمامُهُ ، فَنَحْنُ عَلى آثارِهِ نَتَوَرّدُ[1]
بَنُو ثُعَلٍ قَوْمي ، فَما أنا مُدّعٍ سِواهُمْ ، إلى قوْمٍ ، وما أنا مُسنَدُ[2]
بدَرْئِهِمِ أغشَى دُروءَ مَعاشِرٍ ، ويَحْنِفُ عَنّي الأبْلَجُ المُتَعَمِّدُ[3]
فمَهْلاً ! فِداكَ اليَوْمَ أُمّي وخالَتي ، فلا يأمُرَنّي ، بالدّنيّةِ ، أسْوَدُ
على جُبُنٍ ، إذ كنتُ ، واشتدّ جانبي أُسامُ التي أعْيَيْتُ ، إذْ أنا أمْرَدُ[4]
فهَلْ ترَكتْ قَبلي حُضُورَ مَكانِها ؛ وهَلْ مَنْ أبَى ضَيْماً وخَسفاً مخلَّدُ؟[5]

١ إمامه : طريقه الواضح . نتورد : أراد بها نسير .
٢ المسند : الدعي .
٣ الدرء : الاندفاع . الدروء : أراد بها الأمكنة . يحنف : يميل . الأبلج : الطلق الوجه ، والمفترق الحاجبين . المتعمد : القاصد .
٤ أسام : أكلف . التي أعييت : التي عجزت عنها .
٥ الخسف : النقيصة والذل .

ومُعتَسِفٍ بالرّمحِ ، دونَ صِحابِهِ ، تَعَسّفْتُهُ بالسّيفِ ، والقَوْمُ شُهّدُ[1]

فَخَرّ على حُرّ الجبينِ ، وَذادَهُ ، إلى الموْتِ ، مَطرُورُ الوَقيعةِ ، مِذوَدُ[2]

فما رُمتُهُ ، حتى أزَحتُ عَوِيصَهُ ، وحتى عَلاهُ حالِكُ اللّونِ ، أسوَدُ[3]

فأقسَمْتُ ، لا أمشي إلى سرّ جارَةٍ ، مَدَى الدّهرِ ، ما دامَ الحَمامُ يُغرّدُ[4]

ولا أشتري مالاً بِغَدْرٍ عَلِمْتُهُ ؛ ألا كلّ مالٍ ، خالَطَ الغَدْرُ، أنكَدُ[5]

إذا كانَ بَعضُ المالِ رَبّاً لأهْلِهِ ، فإنّي ، بحَمْدِ اللهِ ، مالي مُعَبَّدُ

يُفَكّ بهِ العاني ، ويُؤكَلُ طَيّباً ، ويُعْطَى ، إذا مَنّ البَخيلُ المُطَرَّدُ[6]

إذا ما البَخيلُ الخَبّ أخْمَدَ نارَهُ ، أقولُ لمَنْ يَصْلى بناريَ أوقِدوا[7]

توَسّعْ قليلاً ، أو يَكُنْ ثَمّ حَسْبُنا ومُوقِدُها الباري أعَفّ وأحْمَدُ[8]

١ المعتسف : الظالم . تعسفته : ظلمته .

٢ حر الجبين : ما بدا من الجبين . ذاده : دفعه . المطرور : أراد به السيف المسنون . الوقيعة : صدمة الحرب ، القتال .

٣ أزحت : أزلت . عويصه : صعبه . وقد يكون أراد بحالك اللون ، أسود : الغبار المختلط بالدم .

٤ يريد أنه عفيف لا تطمح عيناه إلى جارته مدى الدهر ، وما دام الحمام يغني .

٥ أنكد : قليل الخير .

٦ من عليه بما صنع : ذكر وعدد له ما فعله له من الخير . المطرد : المبعد .

٧ الخب : الخداع . يصلى بناري : يقاسي حرها .

٨ الباري : لعله أراد به باري العود ، أو باري السهم . أو ربما كانت هذه اللفظة مصحفة عن بادي ، أي البادي بإيقاد النار .

كذاكَ أمورُ النّاسِ راضٍ دَنيّةً ، وسامٍ إلى فَرْعِ العُلا ، مُتَوَرِّدُ[1]
فمِنْهُمْ جَوادٌ قَدْ تَلَفّتَ حَوْلَهُ ، ومنهُمْ لَئيمٌ دائمُ الطّرْفِ ، أقوَدُ[2]
ودَاعٍ دَعاني دَعوَةً ، فأجَبْتُهُ ، وهَلْ يَدَعُ الدّاعينَ إلاّ المُبَلَّدُ ؟[3]

١ الفرع من كل شيء : أعلاه المتفرع من أصله . المتورد : الوارد .
٢ الأقود : البخيل .
٣ المبلد : العاجز الرأي الضعيف الهمة .

وسادي جفن السلاح

وخِرْقٍ كنصْلِ السيفِ، قد رام مَصْدفي ... تَعَسَّفْتُهُ بالرّمحِ، والقومُ شُهّدي[1]

فخرّ على حُرِّ الجَبينِ بضَرْبَةٍ، ... تَقُطّ صِفاقاً عن حَشاً غيرِ مُسْنَدِ[2]

فما رُمتُهُ، حتى تركْتُ عَوِيصَهُ ... بَقيّةَ عَرْفٍ، يحفِزُ التُّرْبَ، مِذْوَدِ[3]

وحتى تركْتُ العائداتِ يَعُدْنَهُ، ... يُنادينَ لا تَبْعَدْ، وقلتُ لهُ: ابْعدِ[4]

أطافُوا بهِ طَوْفَيْنِ، ثُمّ مَشَوْا بِهِ ... إلى ذاتِ إلْجافٍ، بزَخّاءَ، قُرْدُدِ[5]

ومَرْقَبَةٍ، دونَ السّماءِ، طِمِرّةٍ، ... سَبَقتُ طُلُوعَ الشّمسِ منها بمَرْصَدِ[6]

وِسادي بها جَفْنُ السّلاحِ، وتارَةً، ... على عُدَوَاءِ الجَنْبِ، غَيرُ مُوَسَّدِ[7]

١ الخرق : الكريم السخي . كنصل السيف : أي ماض في كرمه مضي نصل السيف في قطعه . مصدفي ، مصدر ميمي من صدفه : صرفه ، صده . تعسفته : أخذته بقوة .
٢ خر : سقط . حر الجبين : ما بدا منه . تقط : تقطع . الصفاق: الجلد الأسفل الذي يمسك البطن. مسند : موثق .
٣ عويصه : نفسه ، شدته . بقية عرف : أي تركه يكاد لا يعرف . يحفز الترب : يدفع الترب . المذود : المدافع .
٤ العائدات : الزائرات في المرض . يعدنه : يزرنه . لا تبعد : لا تهلك .
٥ أطافوا به : أحاطوا به . إلجاف : حفر ، وأراد اللحد . زخاء : موضع . القردد : ما ارتفع وغلظ من الأرض .
٦ المرقبة : المكان المرتفع الذي يراقب منه . الطمرة : لعلها من الطمور ، وهو الوثوب في السماء ، والمكان المرتفع . المرصد : المكان يرصد منه ، والرصد : القعود لآخر على طريقه للإيقاع به .
٧ جفن السلاح : أراد جفن السيف ، غمده . عدواء : الأرض اليابسة الصلبة . الجنب : شق الإنسان . يقول : إنه يتوسد حيناً جفن سيفه ، وحيناً يلقي جنبه إلى الأرض اليابسة الصلبة ، ولا يتوسد شيئاً .

وماذا يعدي المال عنك

ألا أخلَفَتْ سَوْداءَ منكَ المَواعِدُ ، ودونَ الذي أمَّلْتَ منها الفَراقِدُ[1]
تُمَنّينَنا غَدْواً ، وغَيْمُكُمُ ، غداً ، ضَبابٌ ، فلا صَحوٌ ، ولا الغيمُ جائِدُ[2]
إذا أنتَ أُعطيتَ الغِنى ، ثمّ لم تَجُدْ بفَضْلِ الغِنى ، أُلفيتَ ما لكَ حامدُ
وماذا يُعَدّي المالُ عَنكَ وجَمعُهُ ، إذا كانَ ميراثاً ، وواراكَ لاحِدُ[3]

لا ارسو ولا اتمعد

روى القاضي التنوخي عن
أبي صالح قال : أنشدني ابن
الكلبي لحاتم :

إلَهُهُمُ رَبّي ورَبّي إلَهُهُمْ ، فأقْسَمْتُ لا أرْسو وَلا أتَمَعّدُ[4]

١ أخلفت : لم تف بوعدها . سوداء : اسم امرأة وفي البيت قلب ، لأن المخلفة هي سوداء لا المواعد . الفراقد ، الواحد فرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به . وهما فرقدان .
٢ تمنيننا : تجعليننا نتمنى . غدواً : أي غداً ، وأصل غد : غدو حذفت واوه دون عوض .
٣ ماذا يعدي المال عنك : يريد ماذا يفيدك ، أو يبعد عنك . اللاحد : الدافن .
٤ أرسو ، من الرسو : وهو لفظ السين والصاد زاياً ، فيقال مثلا : للصقر زقر ، ولسقر زقر . لا أتمعد : لا أتزيا بزي معد ، ولا ألفظ لفظها .

فأحسن فلا عار

ومن شعره قوله لما دخل
على الحارث بن عمرو الجفني
فأنشده :

أبَى طُولُ لَيلِكَ إلاّ سُهُودا ، فَما إنْ تَبِينُ ، لِصُبْحٍ ، عَمودا[1]
أبِيتُ كَئيباً أُراعي النّجومَ ، وأُوجِعُ ، منْ ساعدَيّ ، الحديدا
أُرَجّي فَواضِلَ ذي بَهْجَةٍ ، مِنَ النّاسِ ،يجمَعُ حزْماً وجُودا[2]
نَمَتْهُ إمامَــةُ والحارِثانِ ، حتى تَمَهّلَ سَبْقاً جَديدا
كَسَبْقِ الجَوادِ غَداةَ الرّهانِ ، أرْبَى على السّنّ شأواً مَديدا
فاجْمَعْ ، فِداءٌ لكَ الوالدانِ ، لِما كنتَ فينا ، بخَيرٍ ، مُريدا
فتَجْمَعُ نُعْمَى على حاتِمٍ ، وتُحضِرُها ، من مَعَدٍّ ، شُهُودا
أم الهُلْكُ أدنى ، فما إنْ عَلِمتُ عليّ جُناحاً ، فأخشَى الوَعيدا[3]
فأحْسِنْ فلا عارَ فيما صَنَعْتَ ، تُحيي جُدوداً ، وتَبري جُدودا[4]

١ السهود : السهر . تبين : أراد تتبين ، ترى .
٢ الفواضل : العطايا .
٣ الجناح : الذنب .
٤ تبري ، من براه : هزله وأضعفه ، وأراد هنا تفني . الجدود : الحظوظ ، الواحد جد .

يقولون لي اهلكت مالك

وعاذِلَةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُني ، وقد غابَ عَيّوقُ الثّرَيّا ، فعَرّدا[1]
تَلومُ على إعطائيَ المالَ ، ضِلّةً ، إذا ضَنّ بالمالِ البَخيلُ وصَرّدا[2]
تقولُ : ألا أمْسِكْ عليكَ ، فإنّني أرى المالَ ، عند المُمسكينَ، مُعبَّدا[3]
ذَريني وحالي ، إنّ مالَكِ وافِرٌ ، وكلّ امرِىءٍ جارٍ على ما تَعَوّدا
أعاذِلَ ! لا آلُوكِ إلاّ خَليقَتي ، فلا تَجعَلي ، فوْقي ، لِسانَكِ مِبْرَدا[4]
ذَريني يكُنْ مالي لعِرْضِيَ جُنّةً ، يَقي المالُ عِرْضِي ، قبل أن يَتَبَدّدا[5]
أريني جَواداً ماتَ هَزْلاً ، لَعَلّني أرَى ما تَرَينَ ، أوْ بَخيلاً مُخَلَّدا
وإلاّ فكُفّي بَعضَ لومكِ ، واجعلي، إلى رأيِ مَن تَلحَينَ،رأيَكِ مُسنَدا[6]
ألَمْ تَعلَمي أنّي ، إذا الضّيفُ نابني ، وعزّ القِرَى ،أقري السديفَ المُسرْهدا[7]

١ العيوق : نجم يتلو الثريا ولا يتقدمها . عرد : مال للغروب .
٢ صرد : قلل العطاء .
٣ المسكين : البخلاء . المعبد : المكرم كأنه معبود .
٤ آلوك : أبطىء ، أقصر ، يقول : أعاذلتي إني لا أبطىء ، ولا أترك شيئاً مما في طاقتي إلا جعلته لك ، ما عدا طبيعتي . فلا تجعلي لسانك كالمبرد يأكل مني ، وينقصني .
٥ ذريني : اتركيني . الجنة : السترة .
٦ تلحين : تلومين .
٧ السديف : شحم سنام البعير ، وهو أطيب لحمه . المسرهد : المقطع .

أسَوَّدُ ساداتِ العَشيرَةِ ، عارِفاً ، ومن دونِ قومي ، في الشدائد، مِذوَدا[1]
وأُلفَى ، لأعراضِ العَشيرَةِ ، حافظاً وحَقّهِمِ ، حتى أكونَ المُسَوَّدا[2]
يقولونَ لي : أهلكتَ مالك، فاقتصِدْ، وما كنتُ ، لولا ما تقولونَ ، سيّدا
كُلُوا الآنَ من رزْقِ الإلهِ ،وأيسروا، فإنّ ، على الرّحمانِ ، رِزْقَكُمُ غَدا
سأذخرُ من مالي دِلاصاً ، وسابِحاً ، وأسْمَرَ خَطّيّاً ، وعَضْباً مُهَنّدا[3]
وذلكَ يَكفيني منَ المالِ كُلّهِ ، مَصوناً ، إذا ما كان عنديَ مُتْلِدا[4]

١ أسود : أعطى السيادة على سادات قومي . المذود : الذي يذود عن قومه ، يدفع عنهم .
٢ حقهم : معطوف على أعراض العشيرة .
٣ الدلاص : الدرع اللينة الملساء . السابح : الفرس . الأسمر : الرمح . الخطي : المنسوب إلى الخط وهو مرفأ للسفن في البحرين تباع فيه الرماح . العضب : السيف . المهند : المصنوع في الهند .
٤ المتلد : المال القديم .

مجادهم لم يمجد

قال حاتم بعد غلبته بني لأم
بالماجدة وعقره أفراسهم
وإطعامه إياها الناس :

أبْلِغْ بَني لأمٍ بأنّ خُيُولَهُمْ عَقْرَى ، وأنّ مِجادَهمْ لم يَمْجُدِ[1]
ها إنّما مُطِرَتْ سَماؤكُمُ دَماً ، ورفعتَ رأسَكَ مثلَ رأسِ الأصْيَدِ[2]
ليَكُونَ جيراني أُكالاً بينَكُمْ ، بُخْلاً لِكِنْدِيٍّ ، وسَبْيِ مُزْنِدِ[3]
وابنِ النُّجُودِ ،وإنْ غَدا مُتَلاطِماً، وابنِ العَذَوَّرِ ذي العِجانِ الأزْبَدِ[4]
أبْلِغْ بَني ثُعَلٍ بأنّي لم أكُنْ : أبداً ، لأفعَلَها ، طِوالَ المُسْنَدِ[5]
لا جِئتُهُمْ فَلاًّ ، وأترُكَ صُحْبَتي نَهْباً ، ولم تَغْدُرْ بقائِمِهِ يَدي[6]

١ مجادهم : مغالبتهم بالمجد . لم يمجد : لم يغلب بالمجد .
٢ الأصيد : الرجل الذي يرفع رأسه كبراً .
٣ الأكال : داء في العضو يأتكل منه ، أو يحدث فيه حكة ، يريد ليكون جيراني قلقاً لكم ، كما يقلق الاكال صاحبه . المزند : الزائد ، وأزند الرجل في وجهه : رجع إليه . ومعنى البيت غير واضح .
٤ ابن النجود : ابن الأمكنة المرتفعة ، وأراد به السيل ، يدل عليه قوله وإن غدا متلاطماً . العذور : الواسع الجوف ، السيء الخلق ، الشديد النفس . والفحاش من الحمير . العجان : العنق والاست والقضيب الممدود من الخصية إلى الدبر . الازبد : الكثير الزبد . أراد رغوة العرق . وهذا البيت غير واضح المعنى كسابقه .
٥ المسند : الدهر .
٦ الفل : المنهزم . بقائمه : أي بقائم السيف ، مقبضه .

لست آكله وحدي

قال حاتم الطائي يخاطب
امرأته ماوية بنت عبد الله :

أيا ابنَةَ عبْدِ اللهِ ، وابنَةَ مالِكٍ ، ويا ابنةَ ذي البُرْدينِ والفرَسِ الوردِ[1]
إذا ما صَنَعتِ الزّادَ ، فالتَمِسِي لهُ أكيلاً ، فإنّي لستُ آكِلَهُ وحدي[2]

١ كرر لفظة ابنة مع أن المراد واحدة ، وذلك لاختلاف المضاف إليه ، والقصد من ذلك تفخيم أمرها . وعنى بذي البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة ، لقب بذلك يوم اجتمعت وفود العرب عند المنذر بن ماء السماء ، وأخرج المنذر بردين يبلو الوفود ، وقال : ليقم أعز العرب قبيلة ، فليأخذهما . فقام عامر بن أحيمر فأخذهما ، وائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ، فقال له المنذر : أأنت أعز العرب قبيلة ؟ قال : العز والعدد في معد ، ثم في نزار ، ثم في مضر ، ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في عوف ، ثم في بهدلة ، فمن أنكر هذا فلينافرني ، أي فليفاخرني . فسكت الناس . فقال المنذر : هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت في أهل بيتك وفي نفسك ؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وخال عشرة ، وعم عشرة . وأما في نفسي ، فشاهد العز شاهدي . ثم وضع قدمه على الأرض فقال : من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل . فلم يقم إليه أحد من الحاضرين ففاز بالبردين .

٢ أراد بإذا ما صنعت الزاد : إذا فرغت من اتخاذ الزاد وإعداده . التمسي له : اطلبي له . أكيل الرجل : شريبه وجليسه ، ولا ينطلق هذا الاسم إلا على من عرف بهذه الصفة فتكررت منه . ولعل تنكيره إياه دليل على أن الذين عرفوا بمؤاكلته كثيرون ، فأراد من زوجته أن تلتمس واحداً منهم .

أخاً طارِقاً ، أو جارَ بَيتٍ ، فإنّني أخافُ مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بعدي[1]
وإنّي لعَبْدُ الضّيفِ ، ما دام ثاوياً ، وما فيّ ، إلاّ تلكَ ، من شيمةِ العَبدِ[2]

لكل كريم عادة

وقائِلَةٍ أهلَكْتَ ، بالجودِ ، مالَنا ، ونَفسَكَ ، حتى ضَرّ نَفسَكَ جودُها
فقلتُ دَعيني ، إنّما تِلكَ عادَتي ، لكُلّ كَريمٍ عادَةٌ يَستَعيدُها

١ أخاً : نصبه على البدلية من أكيل . المذمات ، الواحدة مذمة : الذم ، وإضافته المذمات إلى الأحاديث ليري أن خوفه مما يبقى من الذم فيها يتحدث به بعده .
٢ ما دام ثاوياً : أي ما دام مقيماً عندي .

حرف الراء

أماوي ، إما مت !

بكَيتَ ، وما يُبكيكَ مِنْ طَلَلٍ قفرِ بسَقفِ اللّوَى بينَ عَمورانَ فالغَمرِ[1]
بمُنْعَرَجِ الغُلاّنِ ، بينَ سَتيرَةٍ ، إلى دارِ ذاتِ الهَضْبِ، فالبُرُقِ الحُمرِ[2]
إلى الشّعبِ،من أعلى سِتارٍ،فثَرْمَدٍ ، فبَلْدَةِ مَبنى سِنْبسٍ لابنتَيْ عَمرِو[3]
وما أهلُ طَوْدٍ ، مُكفَهِرٍّ حصُونُه، منَ الموْتِ،إلاّ مثلُ مَن حلّ بالصّحرِ[4]
وما دارِعٌ ، إلاّ كآخَرَ حاسِرٍ ؛ وما مُقتِرٌ ، إلاّ كآخَرَ ذي وَفْرِ[5]
تَنُوطُ لَنا حُبَّ الحياةِ نُفُوسُنا ، شَقاءً ،ويأتي الموْتُ من حيثُ لا ندري[6]
أماوِيّ ! إمّا متُّ ، فاسْعَيْ بنُطْفَةٍ من الخَمرِ،رِيّاً، فانضَحِنّ بها قبرِي[7]
فلوْ أنّ عينَ الخَمرِ في رأسِ شارِفٍ ، من الأسدِ،وردٍ،لاعتلَجنا على الخمرِ[8]

١–٢–٣ الأسماء المذكورة في هذه الأبيات الثلاثة هي أسماء مواضع .

٤ الطود : الجبل . الصحر : لعله أراد الصحراء ، وهي الفضاء لا نبات فيه .

٥ الحاسر : عكس الدارع ، لابس الدرع . المقتر : الفقير . ذو الوفر : الموسر .

٦ تنوط : تعلق .

٧ النطفة : الماء الصافي قل أو كثر . رياً : أي لأجل الري ، الارتواء . انضحي : رشي .

٨ الشارف : المسن . الورد : الأحمر . اعتلجنا : اقتتلنا ، واصطرعنا .

ولا آخُذُ المَوْلى لسوءِ بَلائِهِ . وإنْ كانَ مَحنيَّ الضّلوعِ على غَمْرِ[1]
متى يأتِ ، يوْماً ، وارثي يَبتغي الغِنى ، يجدْ جُمعَ كَفٍّ ، غيرِ مِلءٍ ، ولا صِفْرِ[2]
يجدْ فَرَساً مثلَ العِنانِ ، وصارِماً حُساماً ، إذا ما هُزَّ لم يَرْضَ بالهَبرِ[3]
وأسمَرَ خَطّيّاً ، كأنّ كُعُوبَهُ نوَى القَسْبِ ، قد أرمى ذراعاً على العشرِ[4]
وإنّي لأستَحيي منَ الأرْضِ أنْ أرَى بها النّابَ تَمشي ، في عشِيّاتِها الغُبْرِ[5]
وعِشتُ معَ الأقوامِ بالفقرِ والغِنى ، سَقاني بكأسَي ذاكَ كِلْتَيهِما دَهري[6]

١ المولى : ابن العم . الغمر : الحقد .
٢ جمع كف : أي مقدار ما يشتمل عليه الكف من مال وغيره . يقول : متى جاء وارثي بعد موتي يجد قدراً من المال لا هو بالكثير ولا القليل .
٣ يريد : يجد فرساً كالعنان في إدماجه وضمره ، وسيفاً قاطعاً إذا حرك في الضريبة لم يرض بالقطع ، ولكنه يتجاوزه ويخرج إلى ما وراءه من بري العظم . العنان : سير اللجام . الهبر : قطع اللحم .
٤ الأسمر : الرمح . الخطي : المنسوب إلى الخط : مرفأ للسفن في البحرين تباع فيه الرماح . كعوبه : عقده . القسب : ضرب من التمر غليظ النوى . شبه كعوب الرمح بنوى هذا التمر في صلابتها . وقوله : أرمى ذراعاً على العشر ، أي أنه لا طويل ولا قصير ، فلا يكون مضطرباً ولا قاصراً .
٥ الناب : الناقة المسنة .
٦ قوله : ذاك ، أتى باسم الإشارة مفرداً ، مع أن الكلام على اثنين وهما الفقر والغنى .

ما انا من خلانك

قال يذكر ابنة عفزر
وأنه ليس بصاحب ريبة :

حَننتُ إلى الأجبالِ ، أجبالِ طيّءٍ ، وحَنّتْ قَلوصي أن رَأتْ سوْطَأحمرَا[1]
فقُلتُ لها : إنّ الطّريقَ أمامَنا ، وإنّا لَمُحْيُو رَبْعِنا إنْ تَيَسّرَا[2]
فَيا راكِبَيْ عُلْيا جَديلَةَ ، إنّما تُساماَنِ ضَيْماً ، مُسْتَبيناً ، فتَنْظُرَا
فَما نَكَراهُ غيرَ أنّ ابنَ مِلْقَطٍ أراهُ ، وقد أعطى الظُّلامةَ ، أوجَرَا[3]
وإنّي لَمُزْجٍ للمَطيّ على الوَجَا ، وما أنا مِنْ خُلاّنِكِ ، ابنَةَ عفزَرا[4]
وما زِلتُ أسعى بينَ نابٍ ودارَةٍ ، بلَحْيانَ ، حتى خِفتُ أنْ أتَنَصّرا[5]
وحتى حسِبتُ اللّيلَ والصّبحَ ، إذ بدا ، حِصانَينِ سَيّالَينِ جَوْناً وأشقَرَا[6]
لَشِعْبٌ مِنَ الرّيّانِ أمْلِكُ بابَهُ ، أنادي بهِ آلَ الكَبيرِ وجَعْفَرَا

١ حنت : اشتقت . حنت قلوصي : صوتت عن طرب أو حزن . القلوص : الناقة .
٢ محيو أرضنا : واجدوها .
٣ ابن ملقط : رجل بعينه . الأوجر : المشفق ، المحاذر الخائف .
٤ مزج : سائق ، دافع برفق . المطي ، الواحدة مطية : كل ما يركب . الوجا : الحفى .
٥ ناب ، ودارة ، ولحيان : مواضع .
٦ سيالين : شديدي الجري . الجون : الأسود .

أحَبُّ إليّ مِنْ خَطيبٍ رَأيْتُهُ ، إذا قُلتُ مَعروفاً ، تَبَدّلَ مُنْكَرَا

تُنادي إلى جاراتِها : إنّ حاتِماً أراهُ ، لَعَمْري ، بَعدنا، قد تغَيّرَا

تَغَيّرْتُ ، إنّي غَيرُ آتٍ لِرِيبَةٍ ، ولا قائلٌ ،يوْماً،لذي العُرْفِ مُنكَرَا

فلا تَسألِيني ، واسألي أيُّ فارِسٍ ، إذا بادَرَ القوْمُ الكَنيفَ المُستَّرَا[1]

ولا تَسألِيني ، واسألي أيُّ فارِسٍ ، إذا الخَيلُ جالَتْ في قَناً قد تكَسّرَا

فلا هيَ ما تَرْعى جَميعاً عِشارُها ، ويُصْبحُ ضَيْفي ساهِمَ الوَجهِ ، أغبرَا[2]

متى تَرَني أمشي بسَيفيَ ، وَسْطَها ، تَخَفْني وتُضْمِرْ بَيْنَهَا أنْ تُجزَّرَا[3]

وإنّي ليَغشَى أبْعَدُ الحيّ جَفْنَتي ، إذا وَرَقُ الطّلْحِ الطّوالِ تَحَسّرَا[4]

فلا تَسْألِيني ، واسألي بيَ صُحبَتي ، إذا ما المَطيّ ، بالفَلاةِ ، تَضَوّرَا[5]

وإنّي لَوَهّابٌ قُطوعي وناقَتي ، إذا ما انتَشَيتُ ، والكُميتَ المُصَدَّرَا[6]

وإنّي كأشلاءِ اللّجامِ ، ولنْ ترَى أخا الحرْبِ إلاّ ساهِمَ الوَجْهِ ، أغبرَا[7]

١ الكنيف : الحظيرة من الشجر .

٢ قوله : ما ترعى ، ما زائدة . العشار : النياق . ساهم الوجه : متغيره .

٣ تضمر بينها : أراد بها يخالج ضمائرها . تجزر : تنحر .

٤ الجفنة : القصعة الكبيرة . الطلح : شجر شوكي ذو صمغ أحمر . تحسر : انكشف .

٥ تضور : تألم من الجوع .

٦ القطوع ، الواحد قطع : بساط ، أو طنفسة يجعلها الراكب تحته ، وتغطي كتفي البعير . انتشيت : سكرت . الكميت : الفرس لونه ما بين الأحمر والأسود . المصدر ، من صدر الفرس : تقدم الخيل بصدره وبرز برأسه وسبق .

٧ أشلاء اللجام : سيوره التي تقادمت .

أخو الحربِ ، إن عضّتْ به الحرْبُ عضّها   وإنْ شمّرَتْ عن ساقِها الحرْبُ شمّرَا[1]
وإنّي ، إذا ما الموْتُ لم يَكُ دونَهُ   قَدَى الشّبرِ ، أحمي الأنفَ أن أتأخّرَا[2]
متى تَبْغِ وُدّاً منْ جَديلَةَ تَلْقَهُ ،   مَعَ الشِّنْءِ منهُ ، باقياً ، مُتأثّرَا[3]
فإلاّ يُعادونا جِهَاراً نُلاقِهِمْ ،   لأعْدائِنا ، رِدْءاً دَليلاً ومُنذِرَا[4]
إذا حالَ دوني ، من سُلامانَ ، رَملةٌ ،   وَجدتُ تَوالي الوَصْلِ عنديَ أبْتَرَا[5]

ألا أبلغ بني اسد

ألا أبلِغْ بَني أسَدٍ رَسُولاً ،   وما بي أنْ أزُنّكُمُ بغَدْرِ[6]
فمَنْ لم يُوفِ بالجيرانِ ، قِدْماً ،   فقد أوْفَتْ مُعاويَةُ بنُ بَكرِ[7]

١ شمرت الحرب عن ساقها : اشتدت . شمر للحرب : تهيأ لها .
٢ القدى : القيد والمقدار . أحمي الأنف : أراد أمنع نفسي من أن تذل .
٣ جديلة : قبيلة . الشنء : البغض .
٤ الردء : العون ، الناصر . الدليل : المرشد . المنذر : المهدد .
٥ سلامان : قبيلة . الأبتر : المقطوع .
٦ ازنكم : أتهمكم .
٧ معاوية بن بكر : قبيلة .

المال غاد ورائح

أماوِيّ ! قد طالَ التّجنّبُ والهَجرُ ، وقد عَذَرَتني ، من طِلابكُمُ ، العذرُ[1]
أماوِيّ ! إنّ المالَ غادٍ ورائِحٌ ، ويبقى ، من المالِ ،الأحاديثُ والذّكرُ
أماوِيّ ! إنّي لا أقولُ لسائِلٍ ، إذا جاءَ يوْماً ، حَلّ في مالِنا نَزْرُ[2]
أماوِيّ ! إمّا مانِعٌ فَمُبَيَّنٌ ؛ وإمّا عَطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزّجْرُ[3]
أماوِيّ ! ما يُغني الثّراءُ عنِ الفَتى ، إذا حشرَجتْ نفسٌ وضاقَ بها الصّدرُ[4]
إذا أنا دَلاّني ، الذينَ أُحِبّهُمْ ، لِمَلْحُودَةٍ ، زُلْجٌ جَوانبُها غُبْرُ[5]
وراحوا عِجالاً يَنفُضونَ أكُفّهُمْ ، يَقولونَ قد دَمّى أنامِلَنا الحَفْرُ[6]
أماوِيّ ! إنْ يُصْبِحْ صَدايَ بقَفْرَةٍ منَ الأرْضِ ، لا ماءٌ هُناكَ ولا خمرُ[7]
تَرَيْ أنّ ما أهلكتُ لم يكُ ضَرّني . وأنّ يَدي ممّا بَخِلْتُ بهِ صَفْرُ[8]

١ العذر ، الواحد عاذر ، من عذره : رفع عنه اللوم .
٢ النزر : القلة .
٣ ينهنهه : يكفه . الزجر : المنع ، النهي ، الطرد .
٤ الحشرجة : الغرغرة عند الموت ، وتردد النفس .
٥ دلاني : أحدرني . الملحودة : القبر . زلج : مزلقة ، وبضم اللام : صخور ملساء .
٦ ينفضون أكفهم : أي مما علق بها من التراب . دمى : أخرج الدم ، أساله .
٧ صداي : جثتي .
٨ صفر : فارغة ، لا شيء فيها .

أماوِيّ ! إنّي ، رُبّ واحِدِ أُمّهِ أجَرْتُ ، فلا قَتْلٌ عَلَيْهِ ولا أسْرُ
وقد عَلِمَ الأقوامُ ، لوْ أنّ حاتِماً أرادَ ثَراءَ المالِ ، كانَ لَهُ وَفْرُ
وإنّيَ لا آلو ، بِمَالٍ ، صَنيعَةً ، فأوّلُهُ زادٌ ، وآخِرُهُ ذُخْرُ
يُفَكّ بهِ العاني ، ويُؤكَلُ طَيّباً ، وما إنْ تُعَرّيهِ القِداحُ ولا الخَمْرُ[1]
ولا أظلِمُ ابنَ العمّ ، إنْ كانَ إخوَتي شُهُوداً ، وقد أودى ، بإخوتِه ، الدهرُ[2]
غُنينا زماناً بالتّصَعْلُكِ والغِنى ، كما الدّهرُ في أيّامِهِ العُسْرُ واليُسرُ[3]
كَسَينا صرُوفَ الدّهرِ لِيناً وغِلظَةً ، وكُلاً سَقاناهُ بكأسَيهِما الدّهْرُ
فَما زادَنا بَأواً على ذي قَرابَةٍ ، غِنانا ، ولا أزرى بأحسابِنا الفقرُ[4]
فقِدْماً عَصَيتُ العاذِلاتِ ، وسُلّطتْ ، على مُصْطفَى مالي ، أنامِلِيَ العَشْرُ
وما ضَرّ جاراً ، يا ابنةَ القومِ ، فاعلمي يُجاوِرُني ، ألاّ يكونَ لهُ سِترُ
بعَيْنَيّ عن جاراتِ قوْمِيَ غَفْلَةٌ ، وفي السّمعِ مني عن حَديثِهِمِ وَقْرُ[5]

١ العاني : الأسير . القداح : أي قداح الميسر .
٢ أودى : أهلك .
٣ التصعلك : الافتقار .
٤ البأو : الافتخار والتكبر . أزرى : عاب .
٥ الوقر : ذهاب السمع ، الصمم .

ظل عفاتي مكرمين

صَحا القلبُ من سلمى ،وعن أُمّ عامرِ ، وكنتُ أراني عنهُما غيرَ صابِرِ

ووَشّتْ وُشاةٌ بَينَنا ، وتَقاذَفَتْ نوَى غُرُبةٍ ، من بعدِ طولِ التّجاوُرِ[1]

وفتيانِ صِدْقٍ ضَمّهم دَلَجُ السُّرَى، على مُسْهَماتٍ، كالقِداحِ ، ضَوامرِ[2]

فلمّا أتَوْني قلتُ : خيرُ مُعَرَّسٍ ، ولم أطّرِحْ حاجاتِهِمْ بمَعاذِرِ[3]

وقُمتُ بمَوْشيّ المُتونِ ، كأنّهُ شِهابُ غَضاً ، في كَفّ ساعٍ مبادرِ[4]

ليَشقى به عُرْقوبُ كَوْماءَ جَبْلَةٍ ، عَقيلَةِ أُدْمٍ ، كالهِضابِ ، بَهازِرِ[5]

فظَلّ عُفاتي مُكْرَمينَ ، وطابخي فَريقانِ منهُمْ : بينَ شاوٍ وقادِرِ[6]

شآميَةٌ ، لم يُتّخَذْ لَهُ حاسِرُ الطّبيخِ ، ولا ذَمٌّ الخَليطِ المُجاوِرِ[7]

---

١ وشت : كذبت في كلامها . تقاذفت : ترامت .

٢ دلج السرى : سير الليل . المسهمات : الإبل التي هزلتها وغيرتها الأسفار . القداح : سهام الميسر .

٣ خير معرس : أي خير نزول نزلتموه للاستراحة . ومعرس : مصدر ميمي من عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة ، ثم يرحلون . المعاذر ، الواحدة معذرة : الاعتذار .

٤ موشي المتون : السيف ، والوشي : فرنده ، ما يرى فيه من نقش .

٥ الكوماء : الناقة . الجبلة : الغليظة ، السمينة . عقيلة : كريمة . أدم ، الواحدة أدماء : سمراء ، أراد نياقاً سمراء . بهازر ، الواحد بهزرة : الناقة السمينة الضخمة .

٦ الشاوي : الذي يشوي اللحم . القادر : الذي يطبخ اللحم في القدر .

٧ الحاسر : المكشوف . الخليط : الجار ، الصاحب . والبيت غامض المعنى ، وغامض مرجع ضمائره . ولعله أراد عفاة شآمية ، لم يتخذ للواحد منهم مكشوف الطبيخ لأنه يكون غير نظيف ، ولا يذم أمامه الجار ، لئلا يظن أنه المقصود بالذم .

يُقَمِّصُ دَهْداقَ البَضيعِ ، كأنّهُ رُؤوسُ القطا الكُدرِ ، الدّقاقِ الحناجرِ[1]
كأنّ ضُلوعَ الجَنْبِ في فَوَرانِها ، إذا استَحْمَشَتْ ، أيدي نساءٍ حواسرِ[2]
إذا استُنزِلتْ كانتْ هَدايا وطُعمةً ، ولم تُختَزَنْ دونَ العيونِ النّواظِرِ[3]
كأنّ رِياحَ اللّحمِ ، حينَ تغَطمَطتْ ، رِياحُ عَبيرٍ بينَ أيدي العَواطِرِ[4]
ألا لَيتَ أنّ الموْتَ كانَ حِمامُهُ ، لَياليَ حَلّ الحَيُّ أكنافَ حابِرِ[5]
لَياليَ يَدْعوني الهوَى ، فأُجيبُهُ حَثيثاً ، ولا أرْعي إلى قَوْلِ زاجِرِ[6]
ودَوّيَّةٍ قَفْرٍ ، تَعاوَى سِباعُها ، عُواءَ اليَتامى مِنْ حِذارِ التّراتِرِ[7]
قَطَعتُ بمِرْداةٍ ، كأنّ نُسُوعَها ، تُشَدّ على قَرْمٍ ، عَلَنْدى ، مَخاطِرِ[8]

١ يقمص : يحرك . الدهداق : اللحم المقطع . البضيع : اللحم . القطا ، الواحدة قطاة : طائر في حجم الحمام . الكدر ، الواحدة كدراء : ما كان في لونها غبرة .
٢ يشبه ضلوع جنب الناقة حينما تغلي القدر على النار الموقدة تحتها بأيدي نساء مكشوفة .
٣ استنزلت : أي أنزلت القدر عن النار . الطعمة : المأكلة ، الطعام . تختزن : تخفى ، تستر عن العيون .
٤ تغطمطت القدر : اشتد غليانها .
٥ أكناف : جوانب . حابر : موضع .
٦ حثيثاً : سريعاً . أرعي : أستمع مقالته ، اصغي .
٧ الدوية : الفلاة . التراتر : الشدائد .
٨ المرداة : الصخرة . يريد قطعت بناقة شديدة كالمرداة . النسوع ، الواحد نسع : سير ، أو حبل عريض طويل تشد به الرحال . القرم : الفحل . العلندى : الشديد الغليظ . المخاطر : الأخطار . لعله يريد أنه شديد على الأخطار ، أو أن المخاطر من الخطران ، أي يخطر في مشيه .

حلي في بني بدر

جاور حاتم في بني بدر من احترب من جديلة وثعل ، وكان ذلك زمن الفساد ، فقال يمدح بني بدر :

إنْ كُنتِ كارِهَةً مَعيشَتَنا ، هاتي ، فَحُلّي في بَني بَدْرِ[1]

جاوَرْتُهم زَمنَ الفَسادِ ، فنِعْمَ الحيُّ في العَوْصاءِ واليُسْرِ[2]

فسُقيتُ بالماءِ النّميرِ ، ولمْ أتْرُكْ أواطِسَ حَمْأةِ الجَفْرِ[3]

ودُعيتُ في أُولى النّديّ ، ولم يُنْظَرْ إليّ بأعْيُنٍ خُزْرِ[4]

الضّارِبِينَ لدَى أعِنّتِهِمْ ، الطّاعِنينَ ، وخَيْلُهُمْ تَجْري

والخالطينَ نَحيتَهُمْ بنُضارِهمْ ، وذوي الغِنى منهمْ بذي الفَقرِ[5]

١ بدر بن عمرو بطن من فزارة .

٢ العوصاء : الشدة والحاجة .

٣ النمير : الزاكي من الماء . أواطس : لعله اسم موضع في الجفر . الحمأة : الطين الأسود . الجفر : اسم لأمكنة كثيرة منها جفر الفرس ، وجفر الهباة ، وجفر الشحم . ولعله أراد هذا الأخير وهو ماء لبني عبس ، لنزوله في بني فزارة وهم وعبس أبناء أعمام .

٤ الندي : المجلس . الخزر : الضيقة .

٥ النحيت : المنحوت . الرديء من كل شيء . النضار : الذهب .

صبر على وقعات الدهر

أغارت طيء على إبل للنعمان بن الحارث بن عمرو الغساني ورجل من بني جفنة ، وقتلوا ابناً له . وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن وليسبين الدراري . فحلف ليقتلن من بني الغوث أهل بيت على دم واحد . فخرج يريد طيئاً فأصاب من بني عدي بن أخزم سبعين رجلا رأسهم وهم بن عمرو من رهط حاتم، وحاتم يومئذ بالحيرة عند النعمان ، فأصابتهم مقدمات خيله ، فلما قدم حاتم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولديها فتقول : يا حاتم أسر أبو هذا . فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان ومعه ملحان ابن حارثة وكان لا يسافر إلا وهو معه ، فقال حاتم :

ألا إنّني قد هاجَني ، الليلةَ ، الذّكَرْ ... وما ذاكَ منْ حُبّ النساءِ ولا الأشَرْ [1]

ولكِنّني ، ممّا أصابَ عَشيرتي ... وقَوْمي بأقرانٍ ، حَوالَيهمِ الصُّبَرْ [2]

لَياليَ نُمْسِي بَينَ جَوٍّ ومِسْطَحٍ ، ... نَشاوَى ، لنا من كلّ سائمَةٍ جَزَرْ [3]

فيا لَيتَ خيرَ الناسِ ، حيّاً ومَيّتاً ، ... يقولُ لَنا خَيراً ، ويُمضِي الذي ائتمَرْ

١ الأشر : البطر والمرح .

٢ الأقران : الحبال ، الواحد قرن . الصبر ، الواحدة صبرة : الحظيرة . يقول : إن قومه أسارى مربوطون بالحبال في الحظائر .

٣ جو ومسطح : موضعان . السائمة : الماشية ، الإبل الراعية . الجزر : ما يجزر ، يذبح للأكل .

فإنْ كانَ شَرٌّ ، فالعَزاءُ ، فإنّنا على وَقَعاتِ الدّهرِ ، من قبلِها، صُبُرْ
سقى اللهُ، رَبُّ الناسِ ،سَحّاً وديمَةً جَنُوبَ السَّراةِ من مَآبٍ إلى زُغَرْ[1]
بلادَ امرىءٍ ، لا يَعرِفُ الذّمُّ بيتَهُ ، لهُ المَشرَبُ الصّافي ، وليسَ له الكدَرْ
تذكّرْتُ من وَهمِ بنِ عمرٍو جلادةً ، وجُرْأةَ مَعداهُ ، إذا نازِحٌ بَكَرْ[2]
فأبْشِرْ ، وقَرَّ العينَ منكَ ، فإنّني أجيءُ كَرِيماً ، لا ضَعيفاً ولا حَصِرْ[3]

١ السح : المطر الغزير . الديمة : السحابة يدوم مطرها . السراة : مواضع في بلاد العرب فيها جبال وقرى . مآب : بلدة بالبلقاء . زغر : بلدة بالشام .
٢ معداه : مصدر ميمي من عدا عليه : وثب وظلمه . النازح ، من نزح : بعد . بكر : ذهب باكراً .
٣ قر العين ، من قرت عينه : بردت سروراً . الحصر : العيي في النطق .

أنعم فدتك النفس

لما أطلق النعمان الغساني بني عبد شمس إكراماً لحاتم بقي قيس بن جحدر بن ثعلبة ، وهو من لخم وأمه من بني عدي وهو جد الطرماح بن حكيم بن نفر ابن قيس بن جحدر . فقال له النعمان : أفبقي أحد من أصحابك ؟ فقال حاتم :

فككْتَ عَدِيّاً كُلَّها مِنْ إسارِها ، فأفضِلْ ، وشَفّعْني بقَيسِ بن جحدرِ
أبُوهُ أبي ، والأمّهاتُ آمّهاتُنا ، فأنعِمْ ، فدتكَ النفسُ ، قوْمي ومعشرِي[1]

[1] قوله : قومي ومعشري ، أي فدتك النفس ، وفداك قومي ومعشري .

زوجوها وعنست

سارت محارب حتى نزلوا أعجاز أجأ وكانت منازل بني بولان وجرم بأموالهم فخافت طيء أن يغلبوها عليها فقال حاتم يحضهم :

أرَى أجَأً ، مِنْ وَراءِ الشَّقيقِ والصَّهْوِ ، زُوِّجَها عامِرُ[1]
وقد زَوَّجوها ، وقد عَنَسَتْ ، وقد أيْقَنُوا أنَّها عاقِرُ[2]
فإنْ يَكُ أمْرٌ بأعْجازِها ، فإنّي ، على صَدْرِها ، حاجِرُ[3]

١ أجأ : جبل في ديار طيء . الشقيق : ماء لطيء . الصهو : موضع في ديار طيء . زوجها : أراد زوج الجبال ، أو أعجازها التي نزلتها محارب . وعجز الجبل : مؤخره . عامر : لعله أراد بني عامر بن الحارث وهم وبنو محارب أبناء أعمام .

٢ عنست الجارية : طال مكثها في أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج . العاقر : التي لا تلد .

٣ الحاجر : المانع . يقول : فإن يكن من أمر على اعجاز تلك الجبال فإني مانع له على صدرها أي على أعلى مقدمها .

نار القرى

كان إذا جن الليل يوعز إلى غلامه
أن يوقد النار في يفاع من الأرض لينظر
إليها من أضله الطريق فيأوي إلى منزله
ويقول :

أوْقِدْ ، فإنّ اللّيْلَ لَيْلٌ قَرّ ، والرّيحَ ، يا مُوقِدُ ، رِيحٌ صِرّ[1]
عَسَى يَرَى نارَكَ مَنْ يَمُرُّ ، إنْ جَلَبَتْ ضَيْفاً ، فأنْتَ حُرُّ

ألا سبيل الى مال

ألا سَبيلٌ إلى مالٍ يُعارِضُني ، كما يُعارِضُ ماءُ الأبطحِ الجاري[2]
ألا أُعانُ ، على جودي ، بمَيسَرَةٍ ، فلا يَرُدّ نَدَى كَفّيّ إقتاري[3]

١ القر : البرد . ريح صر : شديدة البرد ، أو الصوت .
٢ الأبطح : مسيل الماء الواسع .
٣ الميسرة : اليسر ، ضد المعسرة ، الاعسار . الإقتار : قلة المال .

غير اغمار

خرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم فسقطوا على عمرو بن أوس ابن طريف بن المثنى بن عبد الله بن يشجب بن عبد ود في فضاء من الأرض . فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم : لا تعجلوا بقتله ، فإن أصبحتم ، وقد أحدق الناس بكم ، استجرتموه . وإن لم تروا أحداً قتلتموه . فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم فاستجاروه فأجارهم. فقال حاتم :

عَمرُو بنُ أوْسٍ ، إذا أشياعُهُ غضِبوا ، فأحرزوهُ ، بلا غُرْمٍ ولا عارِ[1]
إنّ بَني عَبْدِ وُدٍّ كُلّما وَقَعَتْ إحْدَى الهَناتِ ، أتَوْها غيرَ أغْمارِ[2]

١ احرزوه : حازوه ، حصلوا عليه . الغرم : الخسارة .
٢ الهنات ، الواحدة هنة : شيء ، وقوله : إحدى الهنات : أي أحد الشرور ، الحروب . أغمار ، الواحد غمر : من لم يجرب الأمور ، الجاهل .

ألا أبلغا وهم بن عمرو

ألا أبْلِغا وَهْمَ بنَ عَمْرٍو رِسالَةً ، فإنّكَ أنتَ المرْءُ بالخيرِ أجدَرُ
رَأيتُكَ أدْنَى النّاسِ منّا قَرابَةً ، وغيرَكَ منهُمْ كنتُ أحبُو وأنصُرُ[1]
إذا ما أتَى يَوْمٌ يُفَرّقُ بَيْنَنا ، بمَوْتٍ ، فكُنْ يا وَهْمُ ذو يَتَأخّرُ[2]

١ أحبو : أعطي .
٢ ذو في لغة طيء : معناها الذي .

جبان الكلب

ألا أرِقَتْ عيني ، فبِتُّ أُديرُها ، حِذارَ غدٍ ، أحجى بأنْ لا يَضيرُها[1]

إذا النّجم أضْحى ، مغربَ الشمس ، مائلاً ولم يكُ ، بالآفاقِ ، بَوْنٌ يُنيرُها[2]

إذا ما السّماءُ ، لم تكنْ غيرَ حَلْبَةٍ ، كجِدّةِ بَيتِ العَنكبوتِ ، يُنيرُها[3]

فقد عَلِمَتْ غَوْثٌ بأنّا سَراتُها ، إذا أُعلِمَتْ ، بعدَ السِّرارِ ، أُمورُها[4]

إذا الرّيحُ جاءَتْ من أمامِ أخائفٍ ، وألْوَتْ ، بأطنابِ البُيوتِ ، صدورُها[5]

وإنّا نُهينُ المالَ ، في غَيرِ ظِنّةٍ ، وما يَشتكينا ، في السّنينَ ، ضَريرُها[6]

إذا ما بخيلُ النّاسِ هَرّتْ كِلابُهُ ، وشقّ ، على الضّيفِ الضّعيفِ ، عَقورُها[7]

١ أرقت : لم تنم . أحجى بأن : أخلق بأن . لا يضيرها : لا يضرها .

٢ مغرب الشمس : أي حين غروبها ، وهو منصوب على أنه نائب عن الظرف . مائلا : أي مائلا إلى الغروب . البون : البعد والمسافة . ينيرها : يضيئها .

٣ جدة بيت العنكبوت : أي كون بيت العنكبوت جديداً ، أو كونه كالخرقة . ينيرها : يجعل لها نيراً ، وهو هدب الثوب ولحمته ، ولعله كنى بذلك عن ضعف المطر . وأراد بالسماء : المطر . لم تكن غير حلبة : أي أن مطرها قليل بمقدار حلبة .

٤ سراتها ، الواحد سري : السيد الشريف ، السخي في مروءة . السرار : المسارة ، من ساره : كلمه بسر .

٥ أخائف : جبل .

٦ الظنة : القليل من الشيء . السنين : أي سني القحط والضيق . الضرير : الأعمى .

٧ هرت كلابه : أي هرت في وجه الضيوف لتبعدها . شق عليه : صعب عليه ، وأوقعه في مشقة . العقور : الذي يعقر ، يجرح .

فإنّي جَبانُ الكلبِ ، بَيْتي مُوَطّأٌ ، أجودُ ، إذا ما النّفسُ شَحّ ضَميرُها[1]
وإنّ كِلابي قد أُهِرّتْ وعُوّدَتْ ، قليلٌ ، على مَنْ يَعترِيني ، هَريرُها[2]
وما تَشتكي قِدري ، إذا الناسُ أمحَلتْ أُؤثّفُها طَوْراً ، وطَوْراً أُميرُها[3]
وأُبرِزُ قِدْري بالفَضاءِ ، قليلُها يُرَى غَيرَ مَضْنُونٍ بهِ ، وكَثيرُها
وإبْلِيَ رَهْنٌ أنْ يكونَ كَريمُها عَقيراً ، أمامَ البيتِ ، حينَ أُثيرُها[4]
أُشاوِرُ نَفسَ الجُودِ ، حتى تُطيعَني ، وأتركُ نفسَ البُخلِ ، لا أستشيرُها
وليسَ على ناري حِجابٌ يَكُنّها لمُستَوْبِصٍ ليلاً ، ولكِنْ أُنيرُها[5]
فلا ، وأبيكَ ، ما يَظَلّ ابنُ جارَتي يَطوفُ حَوالَيْ قِدْرِنا ، ما يَطورُها[6]
وما تَشتَكيني جارَتي ، غَيرَ أنّها ، إذا غابَ عَنها بَعلُها ، لا أزورُها
سَيَبْلُغُها خَيري ، ويَرْجِعُ بعلُها إلَيها ، ولمْ يُقْصَرْ عَليّ سُتُورُها[7]
وخَيْلٍ تَعادَى للطّعانِ شَهِدْتُها ، ولَوْ لم أكُنْ فيها لَساءَ عَذيرُها[8]

١ جبان الكلب : كناية عن الكرم ، ذاك لأن الكريم يستقبل ضيوفاً كثيرين فيتعود كلبه رؤية الناس ، فلا ينبح في وجههم ولا يعقرهم . موطأ : ممهد ، مسهل . شح : بخل .
٢ يعتريني : يأتيني .
٣ أؤثفها : أجعلها على الأثافي ، وهي حجارة الموقد . أميرها : آتيها بالمونة .
٤ العقير : المعقور الذي تقطع قوائمه ، لينحر . أثيرها : أهيجها لتنهض .
٥ يكنها : يسترها . المستوبص : المستضيء بالنار ليلا .
٦ يطورها : يدنو منها .
٧ يقصر علي : يرد علي .
٨ العذير : العاذر ، النصير .

وغَمْرَةِ مَوْتٍ لَيسَ فيها هَوادَةٌ ، يكونُ صُدورَ المَشْرَفيّ جُسورُها[1]
صَبرْنا لها في نَهْكِها ومُصابِها ، بأسْيافِنا ، حتى يَبُوخَ سَعيرُها[2]
وعَرْجَلَةٍ شُعْثِ الرّؤوسِ ، كأنّهم بنو الجِنّ ،لم تُطبَخْ،بقِدْرٍ،جَزورُها[3]
شَهِدْتُ وعَوّاناً ، أُمَيْمَةُ ، انّنا بنو الحربِ نَصْلاها ، إذا اشتدّ نورُها[4]
على مُهرَةٍ كَبداءَ ، جرْداءَ،ضامرٍ، أمينٍ شَظاها ، مُطْمَئِنٍّ نُسُورُها[5]
وأقسَمْتُ ، لا أعْطي مَليكاً ظُلامةً ، وحَوْلي عَدِيٌّ ، كَهْلُها وغَريرُها[6]
أبَتْ ليَ ذاكُمْ أُسرَةٌ ثُعَلِيّةٌ ، كَريمٌ غِناها ، مُسْتَعِفٌّ فَقيرُها
وخُوصٍ دِقاقٍ ، قد حَدَوْتُ لفتيةٍ عليهِنّ ، إحداهنّ قد حَلّ كُورُها[7]

١ غمرة الموت : أراد بها الحرب .
٢ يبوخ : ينطفىء . سعيرها : شدة حر نارها .
٣ عرجلة : لم نعثر على هذه اللفظة في ما لدينا من المعاجم ، ولكن سياق الكلام يدل على أنها بمعنى رجال ، أو فرسان .
٤ عوان : رجل بعينه ، منصوب على أنه مفعول معه . أميمة : أي يا أميمة ، تصغير أم . نصلاها : نتحمل حرها . اشتد نورها : اشتدت نيرانها ، والنور : من جموع النار .
٥ الكبداء : المرتفع مكان كبدها . الجرداء : القصيرة الشعر . الضامر : القليلة اللحم . الشظى : عظم صغير مستدق لازق بالركبة أو بالذراع . وقوله : أمين ، أي يوثق به ويركن إليه . النسور ، الواحد نسر : لحمة في باطن حافر الفرس من أعلاه .
٦ الغرير : الشاب لا تجربة له .
٧ الخوص : الغائرات العيون ، الواحدة خوصاء . وهو نعت للنياق . دقاق : ضد الغلاظ ، الواحدة دقيقة . حدوت : سقت وأنا أغني . عليهن : الضمير يعود إلى النياق . أراد لفتية راكبين عليهن . كورها : رحلها . وقوله : حل بالبناء للمعلوم ، أي صار حلالا ، وإن كان بالبناء للمجهول فيكون المعنى : فك ، ضد شد .

حرف السين

لا تطعمن الماء

كان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر : أنا أدخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلها . فبلغ ذلك حاتماً فقال :

ولَقَدْ بَغَى ، بجِلادِ أوْسٍ ، قوْمُهُ   ذُلاًّ ، وقد علِمتْ،بذلك، سِنْبِسُ [1]
حاشا بَني عَمْرِو بنِ سِنْبِسَ،إنّهمْ   مَنَعُوا ذِمارَ أبيهِمِ ، أنْ يَدْنَسوا [2]
وتَواعَدوا وِرْدَ القُرَيّةِ ، غُدْوَةً ،   وحَلَفْتُ باللهِ العَزيزِ لنُحْبَسُ [3]
واللهُ يَعْلَمُ لَوْ أتَى بسُلافِهِمْ   طَرْفُ الجريضِ ،لظلّ يوْمٌ مُشكِسُ [4]
كالنّارِ والشّمسِ التي قالَتْ لها :   بيَدِ اللُّوَيمِسِ ، عالِماً ما يَلْمِسُ [5]

١ الجلاد : الحرب . سنبس : ابن معاوية بن جرول أبو حي من طيء .
٢ الذمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفع عنه ، والحرم والأهل والحوزة . الدنس : التلطخ بمكروه أو عيب .
٣ القرية : محلة لطيء . نحبس : نمنع .
٤ السلاف : الخمرة . الجريض : المغموم ، المشرف على الهلاك . المشكس : الصعب .
٥ اللويمس : تصغير لامس ، من لمسه : مسه وطلبه باللمس .

لا تَطْعَمَنّ الماءَ إنْ أوْرَدْتَهُمْ ، لتَمامِ طَمْيِكُمُ ، ففُوزوا واحبسوا[1]

أو ذو الحُصَيْنِ ، وفارسٌ ذو مِرّةٍ ، بكَتيبَةٍ ، مَنْ يُدْرِكُوهُ يَغرِسُ[2]

ومُوَطّأُ الأكْنافِ ، غيرُ مُلَعَّنٍ ، في الحَيّ مَشّاءٌ إلَيْهِ المجلِسُ[3]

اطلال ماوية

لم يُنْسِنِي أطلالَ ماويّةٍ ناسي ، ولا أكثرُ الماضي . الذي مِثلُهُ يُنسِي

إذا غرَبَتْ شَمسُ النّهارِ وَرَدْتُها ، كما يَرِدُ الظّمْآنُ ، آبيَةَ الخِمْسِ[4]

١ لا تطعمن : لا تذوقن . الطمي : ارتفاع الماء .

٢ المرة : قوة الخلق وشدته . يغرس : لعلها من الغرس بكسر الغين وهو ما يخرج مع الولد كأنه مخاط أو جليدة على وجه الفصيل ساعة يولد فإن تركت عليه قتلته ، فيكون المراد بيغرس : يهلك .

٣ موطأ : ممهد . الأكناف : الجوانب ، الواحد كنف . مشاء إليه المجلس : أي أن المجلس يمشي إليه ليجلس فيه ، فيفصل الخصومات بحكمته وسداد رأيه ، وفصاحته .

٤ الآبية : الإبل التي تعاف الماء . الخمس : من أظماء الإبل . وقوله : آبية الخمس ، غامض وربما أراد أنه يأتي أطلال ماوية مشتاقاً إليها ، كما ترد الإبل الظمأى التي عافت الماء ، ولم تشرب في اليوم الرابع بعد رعيها ثلاثة أيام . وجعل الظمآن بدلا من الظمأى ليستقيم وزن الشعر .

حرف العين

وجارتهم حصان

جاور حاتم طيء بني زياد في زمن الفساد ، وكانت حرب الفساد في الجاهلية بين جديلة والغوث بني زياد بن عبد الله من بني عبس ، فأحسنوا جواره فقال :

لَعَمْرُكَ ، ما أضاعَ بَنُو زِيادٍ ذِمارَ أبيهِمِ ، فيمَنْ يُضيعُ[١]
بَنُو جِنّيّةٍ وَلَدَتْ سُيُوفاً صَوارِمَ ، كُلّها ذَكَرٌ صَنيعُ[٢]
وجارَتُهُمْ حَصانٌ ما تُزَنّى ، وطاعِمَةُ الشّتاءِ ، فَما تَجوعُ[٣]
شرى وُدّي وتَكرِمَتي جَميعاً ، لآخِرِ غالِبٍ ، أبَداً ، رَبيعُ[٤]

١ الذمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفع عنه .
٢ ذكر : أي سيف ذكر وهو الذي تكون شفرته من الحديد الذكر أي الجديد ، ومتنه من الحديد الأنيث وهو خلاف الحديد الذكر . الصنيع : الصقيل .
٣ تزنى : تتهم بالزنا . طاعمة الشتاء : أي آكلة في الشتاء .
٤ الربيع : الخصب ، يدعو لهم بالخير والخصب الدائم .

ابيت خميص البطن

وإنّي لأسْتَحيي صِحابيَ أنْ يَرَوْا مكانَ يَدي ، في جانبِ الزّادِ ، أقرَعا[1]
أُقَصِّرُ كَفّي أنْ تَنالَ أكُفَّهُمْ ، إذا نحنُ أهْوَيْنا ، وحاجاتُنا مَعَا
وإنّكَ مَهْما تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤلَهُ ، وفَرْجَكَ ، نالا مُنتهَى الذّمّ أجمعَا
أبيتُ خَميصَ البطنِ ، مُضْطمِرَ الحشَى حَياءً ، أخافُ الذّمّ أنْ أتَضَلّعَا[2]

١ يريد أنه يستحيي أصحابه أن يكون وإياهم على طعام فيروا المكان الذي يمد إليه يده صار أقرع أي فرغ مما كان عليه من طعام ، فذلك دليل على شرهه ، وحبه للاستئثار بالطعام دونهم .
٢ خميص البطن : ضامره . أن أتضلع : أن أمتلىء شبعاً ورياً .

حاتم والنعمان الغساني

لما أسر النعمان الغساني سبعين رجلا من بني أخزم رهط حاتم دخل عليه حاتم فأنشده أبياتاً فأعجب به ، واستوهبهم منه فوهب له بني امرىء القيس بن عدي ثم أنزله فأتى بالطعام والخمر فقال له ملحان بن حارثة ، وكان معه : أتشرب الخمر وقومك في الأغلال ؟ قم إليه فسله إياهم . فدخل عليه فأنشده :

إنّ امرأ القيسِ أضْحى من صَنيعتِكُمْ ... وعبدَ شَمسٍ ، أبَيتَ اللّعنَ ، فاصْطنِعِ

إنّ عَدِيّاً ، إذا مَلّكْتَ جانِبَها ، ... مِنْ أمرِ غَوْثٍ، على مرْأًى ومُستمَعِ

ثمّ قال :

أتبِعْ بني عبدِ شمسٍ أمرَ صاحبِهمْ ، ... أهْلي فِداؤكَ ، إنْ ضَرّوا وإن نَفعوا

لا تجعلَنّا ، أبَيتَ اللّعنَ ، ضاحِكَةً ، ... كَمَعشَرٍ صُلِموا الآذانَ ، أوْ جُدِعوا[1]

أو كالجَناحِ ، إذا سُلّتْ قوادِمُهُ ، ... صارَ الجَناحُ ، لفَضْلِ الرّيشِ ، يَتّبعُ

فأطلق له بني عبد شمس بن عدي بن أخزم .

[1] صلموا : قطعت آذانهم . جدعوا : قطعت أنوفهم .

حرف الفاء

مالي دون عرضي

أَرَسْماً جديداً ، من نَوارَ ، تعرّفُ ،   تُسائلُهُ ، إذْ ليسَ بالدّارِ مَوْقِفُ[1]
تَبَغّ ابنَ عَمّ الصِّدقِ ،حيثُ اقْتِيتَهُ ،   فإنّ ابنَ عَمّ السَّوءِ ،إنْ سَرَّ يُخلفُ[2]
إذا ماتَ مِنّا سَيّدٌ قامَ بَعْدَهُ   نَظيرٌ لهُ ، يُغْني غِناهُ ويُخْلِفُ[3]
وإني لأَقْري الضَّيفَ ، قبلَ سؤالِهِ ،   وأطعَنُ قِدْماً ، والأسِنّةُ تَرْعُفُ[4]
وإني لأخزَى أنْ تُرَى بيَ بِطْنَةٌ ،   وجاراتُ بَيْتي طاوياتٌ ، ونُحّفُ[5]
وإني لأُغشِي أبعَدَ الحيّ جَفْنَتي ،   إذا حَرّكَ الأطنابَ نَكْباءُ حَرْجَفُ[6]
وإنّيَ أرْمي بالعَداوَةِ أهْلَها ؛   وإنّيَ بالأعداءِ لا أتَنَكّفُ[7]

١ تعرف : أي تتعرف .
٢ تبغ : اطلب .
٣ يغني غناه ويخلف : أي يقوم مقامه .
٤ ترعف : تسيل بالدماء .
٥ البطنة : الامتلاء المفرط من الأكل . طاويات : أي جائعات . نحف : هزيلات ، الواحدة نحيفة .
٦ أغشي الحي : آتي الحي . الجفنة : القدر الكبيرة . النكباء : الريح تهب من كل مكان . الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
٧ أتنكف : آنف ، وأمتنع .

وإنّي لأُعْطي سائلي ، ولَرُبّما أُكلَّفُ ما لا أستَطيعُ ، فأكلَفُ[١]

وإنّي لمَذْمومٌ ، إذا قيلَ حاتِمٌ نَبَا نَبْوَةً ؛ إنّ الكَريمَ يُعَنَّفُ[٢]

سآبى ، وتَأبَى بي أُصُولٌ كريمَةٌ . وآباءُ صِدْقٍ ، بالمَوَدّةِ ، شُرِّفوا

وأجعَلُ مالي دونَ عِرْضيَ ، إنّني كذلِكُمُ مِمّا أُفيدُ وأُتْلِفُ

وأغْفِرُ ، إنْ زَلّتْ بمَوْلايَ نَعْلَةٌ . ولا خيرَ في المَوْلى ، إذا كانَ يُقرِفُ[٣]

سأنْصُرُهُ ، إنْ كانَ للحَقّ تابِعاً ؛ وإنْ جارَ لم يَكْثُرْ عليّ التّعَطّفُ

وإنْ ظَلَموهُ قُمْتُ بالسّيفِ دونَهُ لأنْصُرَهُ ؛ إنّ الضّعيفَ يُؤنَّفُ[٤]

وإنّي ، وإنْ طالَ الثّواءُ ، لَمَيّتٌ ويَعْطِمُني ، ماوِيَّ ، بيتٌ مُسقَّفُ[٥]

وإنّي لَمَجْزِيٌّ بِما أنا كاسِبٌ . وكلُّ امرِىءٍ رَهْنٌ بما هوَ مُتْلِفُ[٦]

١ أكلف الأمر : أحمله على مشقة .
٢ نبا عن الشيء : تباعد ، نفر منه .
٣ يقرف ، من أقرفه : ذكره بسوء . وأراد بالمولى ابن العم .
٤ يؤنف : يضرب على أنفه ، أو يكره .
٥ الثواء : المقام . يعطمني : يهلكني .
٦ الكاسب ، من كسبه مالا : أناله إياه .

قدوري منصوبة

قُدُوري ، بصَحراءَ ، مَنصُوبةٌ ، وما يَنْبَحُ الكَلْبُ أضْيافِيَهْ[1]
وإنْ لم أجِدْ لِنَزيلي قِرًى ، قَطَعْتُ لهُ بعضَ أطرافِيَهْ

١ وما ينبح الكلب اضيافيه : أي لا ينبح في وجوههم ، فعل كلب البخيل ، ليرتدوا على أعقابهم .

حرف اللام

ان الجواد يرى في ماله سبلا

مَهْلاً نَوارُ ، أقِلّي اللّوْمَ والعَذَلا ، ولا تَقُولي ، لشيءٍ فاتَ، ما فَعَلا؟
ولا تَقُولي لمالٍ ، كنتُ مُهْلِكَهُ ، مَهلاً ،وإنْ كنتُ أُعطي الجِنَّ والخبلا[1]
يرى البَخيلُ سَبيلَ المالِ واحدَةً ؛ إنّ الجوادَ يَرَى ، في مالِهِ ، سُبُلا
إنّ البَخيلَ ، إذا ما ماتَ ، يَتْبَعُهُ سُوءُ الثّناءِ ، ويحوي الوارِثُ الإبِلا
فاصدُقْ حديثَكَ ، إنّ المَرْءَ يَتبَعُهُ ما كان يَبني ، إذا ما نَعْشُهُ حُمِلا
لَيتَ البخيلَ يراهُ النّاسُ كُلُّهُمُ ، كما يَراهمْ ، فلا يُقرَى ، إذا نزلا
لا تَعْذِليني على مالٍ وصلتُ بِهِ رَحْماً ، وخيرُ سبيلِ المالِ ما وَصَلا
يَسعى الفتى ، وحِمامُ الموْتِ يُدرِكُهُ وكلُّ يومٍ يُدَنّي ، للفتى ، الأجَلا
إنّي لأعلَمُ أنّي سوْفَ يُدْرِكُني يوْمي ، وأُصبحُ ، عن دُنيايَ، مُشتغِلا
فليتَ شعري ، وليتٌ غيرُ مُدرِكةٍ ، لأيّ حالٍ بها أضْحَى بنُو ثُعَلا

[1] الخبل : لعلها جمع خابل : الشيطان .

أبْلِـغْ بَني ثُعَلٍ عنّي مُغَلْغَلَةً ، جَهدَ الرّسالةِ لا مَحكاً ، ولا بُطُلا[1]

أغزُوا بَني ثُعَلٍ ، فالغَزْوُ حظُّكُمُ ، عُدّوا الرّوابي ولا تبكوا لمن نكَلا[2]

وَيْهاً فِداؤكمُ أُمّي وما وَلدَتْ ، حامُوا على مجدِكم ، واكفوا من اتّكلا

إذْ غابَ مَن غابَ عنهم من عشيرَتِنا ، وأبدَتِ الحرْبُ ناباً كالِحاً . عَصِلا[3]

اللهُ يَعْلَمُ أنّي ذو مُحافَظَةٍ ، ما لم يَخُنّي خَليلي يَبْتَغي بَدَلا

فإنْ تَبَدّلَ ألفاني أخا ثِقَةٍ ، عَفَّ الخليقةِ ، لا نِكْساً ولا وكِلا[4]

١ المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . المحك : المشارة ، والمنازعة .
٢ الروابي ، الواحدة رابية : أراد بها الأصل والشرف . نكل : تراجع عن الشيء جبناً .
٣ الكالح : الشديد . العصل : المعوج مع صلابة .
٤ ألفاني : وجدني . النكس : الجبان . الوكل : المبلد ، الذي يكل أمره إلى غيره .

عف الفقر مشترك الغنى

قال حاتم هذه الأبيات لما تحول عنه جده سعد بن الحشرج ، فخرج بأهله وخلف حاتماً في داره :

وإنّي لَعَفُّ الفَقْرِ ، مُشْتَرَكُ الغِنى ،   وَوُدّكَ شَكْلٌ لا يُوافِقُهُ شَكْلي[1]

وشَكلي شَكْلٌ لا يَقُومُ لِمِثْلِهِ ،   من النّاسِ ، إلاّ كلُّ ذي نيقةٍ مِثلي[2]

ولي نِيقَةٌ في المجدِ والبَذلِ لم تكنْ   تأنّقَها ، فيما مضَى ، أحَدٌ قَبلي[3]

وأجعَلُ مالي دونَ عِرْضِيَ ، جُنّةً   لنَفسِي ، فأستَغني بما كانَ من فضلي[4]

ولي ، معَ بذلِ المالِ والبأسِ ، صَوْلةٌ ،   إذا الحرْبُ أبدتْ عن نواجذها العُصْلِ[5]

١ الشكل : المذهب ، القصد .

٢ النيقة ، اسم من التنوق : التجود في كل شيء .

٣ تأنقها : عملها بإتقان وحكمة .

٤ الجنة : الترس ، الستر .

٥ الصولة : السطوة ، القدرة ، الجولة أو الحملة في الحرب . وأبدت الحرب عن نواجذها : أي اشتدت ، والنواجذ : أقصى الأضراس ، وهي أربعة . العصل ، الواحد أعصل : الأعوج في صلابة .

وما ضَرّني أنْ سارَ سَعْدٌ بِأهْلِهِ ، وأفرَدَني في الدّارِ ، ليسَ معي أهلي

سيَكفي ابتِناايَ المجدَ ، سعدَ بنحشرَج ، وأحمِلُ عنكم كلّ ما حَلّ من أزْلي[1]

وما مِنْ لَئيمٍ عالَهُ الدّهرُ مَرّةً ، فيَذكُرَها إلاّ استَمالَ إلى البُخْلِ[2]

لا نطرق الجارات

لا نَطرُقُ الجاراتِ ، من بعدِ هَجعَةٍ من اللّيلِ ، إلاّ بالهَديّةِ تُحْمَلُ[3]

ولا يُلْطَمُ ابنُ العَمّ ، وَسطَ بيوتِنا ، ولا نتَصَبّى عِرْسَهُ ، حينَ يَغْفُلُ

١ قوله : سعد بن حشرج : منادى ، أي يا سعد . الأزل : الضيق والشدة .

٢ عاله : كفاه معاشه .

٣ نطرق : نأتي ليلا .

كل ارضك سائل

أتى حاتم محرقاً . فقال له محرق : بايعني . فقال له : إن لي أخوين ورائي فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا . قال : فاذهب إليهما فإن أطاعاك فأتني بهما ، وإن أبيا فآذن بحرب . فلما خرج حاتم قال :

أتاني مِنَ الدّيّانِ ، أمسِ ، رِسالةٌ ، وغَدْراً بحَيٍّ ما يقولُ مُواسِلُ[1]
هُمَا سألاني ما فعلتُ ، وإنّني كذلِكَ ، عَمّا أحْدَثا ، أنا سائِلُ
فقلتُ : ألا كَيفَ الزّمانُ علَيكُما ؟ فقالا : بخَيرٍ ، كلُّ أرْضِكَ سائِلُ[2]

فقال محرّق : ما أخواه ؟ فقيل له : طرفا الجبل . فقال : ومحلوفِه لأجلّلن[3] مواسلاً الريط[4] مصبوغاتٍ بالزيت ثمّ لأشعلنّه بالنار . فقال رجل من الناس : جهلُ مُرتقٍ بين مَداخلِ سبَلان[5] . فلمّا بلغ ذلك محرّقاً قال : لأقدمن عليك قريتك . ثمّ انّه أتاه رجلٌ فقال له : إنّك إن تقدم القرية تهلك . فانصرف ولم يقدَم .

١ مواسل : اسم رجل بعينه .
٢ سائل : أي سائل بالماء ، وهو دليل الخير والرزق .
٣ أجللن : أغطين .
٤ الريط ، الواحدة ريطة : الملاءة ، كل ثوب يشبه الملحفة .
٥ سبلان : جبل .

اذا كنت ذا مال

قال حاتم لوهم بن عمرو :

إذا كنتَ ذا مالٍ كثيرٍ ، مُوَجَّهاً ، تُدَقّ لك الأفحاءُ في كلّ منزلِ [1]
فإنّ نزيعَ الجَفرِ يُذهبُ عَيمتي ، وأبلُغُ بالمَخشوبِ ، غيرِ المُفلفَلِ [2]

1 الموجه : صاحب الجاه . الافحاء : الابزار ، الواحد فحا .
2 نزيع الجفر : الماء المنزوع ، أي المستقى من البئر الواسعة . عيمتي : شهوتي للبن . أبلغ : أصل إلى حاجتي . المخشوب : اللحم النيء . يريد أنه قنوع يكتفي بما يستطيع الوصول إليه .

حرف الميم

حاتم يتصعلك

أتَعرِفُ أطْلالاً ونُؤياً مُهَدَّما ، كخَطّكَ ، في رَقٍّ ، كتاباً منَمنَما[1]
أذاعتْ بهِ الأرْواحُ ، بعدَ أنيسِها ، شُهُوراً ، وأيّاماً ، وحَوْلاً مُجرَّما[2]
دوارِجَ ، قد غَيّرْنَ ظاهرَ تُرْبِهِ ، وغَيّرَتِ الأيّامُ ما كانَ مُعْلَمَا[3]
وغيّرَها طُولُ التّقادُمِ والبِلَى . فما أعرِفُ الأطْلالَ ، إلاّ تَوَهُّمَا
تَهادى عَلَيها حَلْيُها ، ذاتَ بهجةٍ ، وكَشحاً ، كطَيّ السابريّةِ ، أهضَمَا[4]
ونَحراً كَفَى نُورَ الجَبينِ ، يَزينُهُ توَقُّدُ ياقوتٍ وشَذْرٌ ، مُنَظَّمَا[5]
كجَمرِ الغَضَا هَبّتْ بهِ ، بعدَ هجعةٍ من اللّيلِ ، أرْواحُ الصَّبا ، فتَنَسّمَا[6]

١ النؤي : الحفير حول الخيمة يمنع السيل . الرق : الجلد الرقيق يكتب فيه . المنمنم : المنقش ، المرقوم . شبه الأطلال والنؤي في اندراسها بالخط في الرق في امحائه ، أو في ما بقي من آثار رقمه ونقشه .

٢ المجرم : الكامل .

٣ دوارج : نعت للأرواح ، أي تحمل التراب وتدرج به ، أي تمشي . المعلم : المعروف .

٤ الكشح : الخاصرة . السابرية : ثياب رقيقة ، من أجود الثياب . الأهضم : اللطيف ، الدقيق .

٥ الشذر : اللؤلؤ الصغير .

٦ الغضا : شجر صلب الخشب جمره يبقى زمناً طويلا لا ينطفىء . الهجعة : النومة الخفيفة من أول الليل .

يُضِيءُ لَنا البَيتُ الظَّليلُ، خَصاصَةً، إذا هيَ، لَيلاً، حاوَلَتْ أن تَبَسَّمَا[1]
إذا انقَلَبَتْ فوْقَ الحَشيّةِ، مرّةً، تَرَنّمَ وَسْوَاسُ الحُلِيّ تَرَنُّمَا[2]
وعاذِلَتَينِ هَبّتَا، بَعدَ هَجْعَةٍ، تَلُومانِ مِتْلافاً، مُفيداً، مُلَوَّمَا[3]
تَلومانِ، لمّا غَوّرَ النّجمُ، ضِلّةً، فتًى لا يرَى الإتلافَ، في الحمدِ، مغرَما[4]
فقلتُ، وقد طالَ العِتابُ علَيهِما، ولوْ عَذَراني، أنْ تَبينَا وتُصْرَما[5]
ألا لا تَلُوماني على ما تَقَدّما، كفى بصُرُوفِ الدّهرِ، للمرْءِ، مُحْكِما
فإنّكُما لا ما مضَى تُدْرِكانِهِ، ولَسْتُ على ما فاتَني مُتَنَدِّمَا
فنَفسَكَ أكرِمْها، فإنّكَ إنْ تَهُنْ عليكَ، فلنْ تُلفي لكَ، الدهرَ، مُكرِمَا
أهِنْ للّذي تَهْوَى التّلادَ، فإنّهُ إذا مُتَّ كانَ المالُ نَهْباً مُقَسَّمَا[6]
ولا تَشْقَيَنْ فيهِ، فيَسعَدَ وارِثٌ بهِ، حينَ تَخشَى أغبرَ اللّوْنِ، مُظلِما[7]
يُقَسّمُهُ غُنْماً، ويَشري كَرامَةً، وقد صِرْتَ، في خطٍّ من الأرْضِ، أعظُما

١ الخصاصة : الفرج في البناء وغيره .
٢ الحشية : الفراش . وسواس الحلي : صوتها . والحلي : ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة الكريمة .
٣ المتلاف : الكثير إتلاف المال . الملوم : الذي يلام كثيراً على إنفاقه .
٤ غور النجم : غرب . الضلة : ضد الهدى .
٥ أن تبينا : أن تفارقا . تصرما : تهجرا .
٦ التلاد : المال الموروث .
٧ أغبر اللون مظلما : أراد به القبر .

قليلٌ بهِ ما يَحمَدَنّكَ وارِثٌ ، إذا ساقَ ممّا كنتَ تَجْمَعُ مَغْنَمَا

تحمّلْ عن الأدْنَينَ ، واستَبقِ وُدّهمْ ولن تَستَطيعَ الحِلْمَ حتى تَحَلَّمَا

متى تَرْقِ أضْغانَ العَشيرَةِ بالأنَا وكفّ الأذى ، يُحسَمْ لكَ الداء مَحسما[1]

وما ابتَعَثَتني ، في هَوايَ ، لحاجةٌ ، إذا لم أجِدْ فيها إمامي مُقَدَّمَا

إذا شِئْتَ ناوَيْتَ امرَأَ السّوْءِ ما نَزَا إليكَ ، ولاطَمْتَ اللّئيمَ المُلَطَّمَا[2]

وذو اللّبّ والتقوى حقيقٌ ، إذا رأى ذوي طَبَعِ الأخلاقِ ، أن يتكَرّما[3]

فجاوِرْ كريماً ، واقتدِحْ منْ زِنادِهِ ، وأسْنِدْ إليهِ ، إنْ تَطاوَلَ ، سُلّمَا[4]

وعَوْراءَ ، قد أعرَضْتُ عنها ، فلم يَضِرْ وذي أوَدٍ قَوّمْتُهُ ، فتَقَوّمَا[5]

وأغْفِرُ عَوْراءَ الكَريمِ ادّخارَهُ ، وأصْفَحُ مِنْ شَتمِ اللّئيمِ ، تكَرُّمَا[6]

ولا أخذِلُ الموْلى ، وإن كان خاذِلاً ؛ ولا أشتُمُ ابنَ العمّ ، إن كانَ مُفحَمَا[7]

ولا زادَني عنهُ غِنائي تَباعُداً ؛ وإن كان ذا نقصٍ من المالِ ، مُصرِمَا[8]

١ ترقي ، من الرقية ، العوذة : أراد تتعوذ أي تعتصم . الانا : الحلم والرفق . حسم الداء : استأصله .
٢ ناويت : عاديت ، مسهل ناوأت . نزا : وثب . الملطم : الذي يلطم كثيراً ، واللئيم .
٣ طبع الأخلاق : دنسها وعيبها .
٤ اقتدح من زناده : استور ناره ، كناية عن الاستفادة .
٥ العوراء : الفعلة القبيحة . الأود : العوج .
٦ ادخاره : ابقاء له ، منصوب على أنه مفعول لأجله .
٧ خذله : ترك نصرته . المفحم : العيي .
٨ المصرم : الفقير .

ولَيْلٍ بَهيمٍ قد تَسَرْبَلتُ هَوْلَهُ ، إذا الليلُ ، بالنِّكسِ الضّعيفِ ، تجَهّمَا[1]
ولن يَكسِبَ الصّعلوكُ حمداً ولا غنًى إذا هوَ لم يرْكبْ ، من الأمرِ ، مُعظَمَا[2]
يرى الخَمصَ تعذيباً ، وإنْ يلقَ شَبعةً يَبِتْ قلبُهُ ، من قِلّةِ الهمّ ، مُبهَمَا[3]
لحى اللهُ صُعلوكاً ، مُناهُ وهَمُّهُ ، من العيشِ ، أن يَلقى لَبوساً ومَطعمَا[4]
يَنامُ الضّحى ، حتى إذا ليلُهُ استوَى ، تَنَبّهَ مَثْلُوجَ الفؤادِ ، مُوَرَّمَا[5]
مُقيماً معَ المُثْرِينَ ، ليسَ ببارِحٍ ، إذا كان جدوى من طعامٍ ومَجثِمَا[6]
ولله صُعْلوكٌ يُساوِرُ هَمَّهُ ، ويمضِي ، علىالأحداثِ والدهرِ ، مُقدِما[7]
فتى طَلَباتٍ ، لا يرَى الخَمصَ تَرْحةً ولا شَبعَةً ، إنْ نالَها ، عَدّ مَغنَما[8]

١ البهيم : المظلم . تسربلت : لبست . الهول : المخافة . والكلام على الاستعارة . النكس : الجبان . تجهم : استقبله بوجه كريه .
٢ الصعلوك : اللص الفقير .
٣ الخمص : الجوع .
٤ أراد بالصعلوك هنا : الصعلوك اللئيم وهو عند العرب الذي لا يسعى ويجاهد في طلب رزقه ، وإنما يكتفي بما يجاد به عليه .
٥ استوى : أقبل ، بلغ أشده . مثلوج الفؤاد : بليده . المورم : الرجل الضخم .
٦ الجدوى : العطية . المجثم : أراد به المنزل ، المقام .
٧ أراد بالصعلوك هنا : الصعلوك الكريم الذي يقدم على الغارات طلباً للرزق. ساور : واثب .
٨ الترحة : الحزن والفقر .

إذا ما رأى يوْماً مكارِمَ أعرَضَتْ ، تَيَمّمَ كُبراهُنّ ، ثُمّتَ صَمّمَا[1]
ترَى رُمْحَهُ ، ونَبْلَهُ ، ومِجَنّهُ ، وذاشُطَبٍ ، عَضْبَ الضّريبة ، مِخْذَما[2]
وأحْناءَ سَرْجٍ فاتِرٍ ، ولِجامَهُ ، عَتادَ فَتًى هَيْجاً ، وطِرْفاً مُسَوَّما[3]

١ ثمت : حرف عطف ، ثم . صمم على الشيء : عزم عليه ، مضى على رأيه فيه ولم يصغ إلى من يردعه عنه .
٢ المجن : الترس . ذا شطب : أراد به السيف . والشطب : الخطوط في متن السيف ، الواحدة شطبة . العضب : السيف القاطع . المخذم : القاطع من السيوف .
٣ حنو السرج : اسم لكلا القربوسين المقدم والمؤخر . الفاتر : أراد به اللين . الطرف : المهر . المسوم : الحسن الخلق .

فتيان صدق

وفِتيانِ صِدْقٍ ، لا ضَغائنَ بَيْنَهمْ ، إذا أرْمَلُوا لم يُولَعُوا بالتّلاوُمِ [1]
سَرَيْتُ بهمْ ،حتى تَكِلّ مَطيّهُمْ ، وحتى تَراهُمْ فَوْقَ أغْبَرَ طاسِمِ [2]
وإنّي أذِينٌ أنْ يَقُولوا : مُزايِلٌ ، بأيٍّ ، يقولُ القوْمُ ، أصْحابُ حاتمِ [3]
فإمّا تُصيبُ النّفسُ أكبرَ هَمّها ؛ وإمّا أُبَشّرْكُمْ بأشْعَثَ غانِمِ [4]

١ ارملوا : افتقروا . لم يولعوا بالتلاوم : أي لا يلوم بعضهم بعضاً .
٢ أراد بالأغبر : القفر المغبر اللون ، الكثير الغبار . الطاسم : المطموس المعالم .
٣ الاذين : الزعيم ، الكفيل . المزايل : المفارق . بأي : أي بأي مكان .
٤ جزم أبشركم في غير موضع جزم ، مراعاة لوزن الشعر . الأشعث : المغبر الشعر المتلبده ، وأراد به نفسه . الغانم : العائد بالغنائم .

كذلك فصدي

أسرت عنزة حاتماً فجعل نساء عنزة يدارين بعيراً ليفصدنه فضعفن عنه فقلن : يا حاتم أفاصده أنت إن أطلقنا يديك ؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يديه فوجأ لبته فاستدمينه . ثم إن البعير عضد أي لوى عنقه أي خر فقلن : ما صنعت ؟ قال : هكذا فصادي[1]، فجرت مثلا . قال فلطمته إحداهن . فقال : ما أنتن نساء عنزة بكرام ، ولا ذوات أحلام . وإن امرأة منهن يقال لها عاجزة أعجبت به فأطلقته ولم ينقموا عليه ما فعل . فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده :

كذلكَ فَصْدي إنْ سألْتُ مَطِيّتي   دَمَ الجوْفِ،إذْ كلُّ الفِصادِ وَخيمُ

١ ويروى : هذا فزدي أي فصدي .

مخافة ان يقال لئيم

أما والذي لا يَعْلَمُ الغَيبَ غَيرُهُ ، ويُحيي العِظامَ البِيضَ ، وَهيَ رَميمُ [1]
لقد كنتُ أطوي البطنَ ، والزّادُ يُشتهَى ، مَخافةَ ، يوْماً ، أنْ يُقالَ لَئيمُ [2]
وما كانَ بي ما كانَ ، والليلُ مِلبَسٌ ، رِواقٌ له ، فوْقَ الإكامِ ، بَهيمُ [3]
ألُفّ بحِلسِي الزّادَ ، من دونِ صُحبتي ، وقد آبَ نَجمٌ ، واستَقَلّ نُجُومُ [4]

١ الرميم : البالية .
٢ أطوي البطن : أتعمد الجوع .
٣ الملبس : الليل الساتر بظلامه . رواق له : أي له رواق ، ورواق الليل : مقدمه ، جانبه . بهيم : أسود ، مظلم .
٤ الحلس : كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل ، وما يبسط في البيت على الأرض تحت حر الثياب والمتاع . آب : غاب . استقل : ارتفع . يريد أنه لا يستر زاده عن أصحابه .

تداركني جدي

هلك أبو حاتم وحاتم صغير فكان في حجر جده سعد بن الحشرج ، فلما فتح يده بالعطاء وأنهب ماله ضيق عليه جده ورحل عنه بأهله وخلفه في داره . فبينا حاتم يوماً بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذ انتبه وإذا حوله مائتا بعير أو نحوها تجول ويحطم بعضها بعضاً فساقها إلى قومه فقالوا : يا حاتم أبق على نفسك فقد رزقت مالا ولا تعودن إلى ما كنت عليه من الإسراف . قال : فإنها نهبى بينكم . فانتهبت فأنشأ حاتم يقول :

تَدارَكَني جَدّي بِسَفْحِ مَتالِعٍ ، فلا تَيْأسَنْ ذو قَوْمِهِ أنْ يُغَنَّمَا

لا تستري قدري

لا تَسْتُري قِدْري ، إذا ما طبَختِها ،   عليّ ، إذا ما تَطْبُخينَ ، حَرامُ
ولكِنْ بِهَذاكَ اليَفاعِ ، فأوْقِدي   بجَزْلٍ ، إذا أوْقَدْتِ ، لا بضِرامِ[1]

وددت وبيت الله

وَدِدْتُ ، وبَيْتِ اللهِ ، لو أنّ أنفَهُ   هَواءٌ ، فما مَتّ المُخاطَ عن العَظمِ[2]
ولكِنّما لاقاهُ سَيفُ ابنِ عَمّهِ ،   فأبَّ ، ومرّ السّيفُ منه على الخَطْمِ[3]

١ اليفاع : المرتفع من الأرض . الجزل : أي الغليظ من الحطب اليابس . الضرام : دقيق الحطب . لأن اللهب الذي يكون من غليظ الحطب اليابس أعظم من الذي يكون من دقيق الحطب ، فيرى من بعيد . وفي البيت إقواء .

٢ مت : مد .

٣ أب : رد يده إلى السيف ليستله ، تهيأ .

أبا الخيبري

أبا الحَيْبَرِيّ ، وأنتَ امرُؤٌ ، حَسُودُ العَشيرَةِ ، شتّامُها

فماذا أرَدْتَ إلى رِمّةٍ ، بدوّيّةٍ ، صَخِبٍ هامُها[1]

تُبَغّي أذاها وإعْسارَها ، وحَوْلَكَ غَوْثٌ ، وأنعامُها

وإنّا لَنُطْعِمُ أضْيافَنا ، مِنَ الكُومِ ، بالسّيفِ نعتامُها[2]



١ الرمة : العظم البالي . الدوية : البرية .

٢ الكوم : القطعة من الإبل . نعتامها : نتخذ خيارها .

حرف النون

وعابوها علي

ويروى عن أبي صالح قال : حدث الهيثم عن مجاهد عن الشعبي قال : كان عبد الله بن شداد بن الهاد رجلا من أبناء رسول الله قال لابنه : يا بني ، إذا سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك ليس بالشاهد . فإنك إذا أمضيتها حيالها ، رجع العيب على من قالها . وكن كما قال حاتم :

وما مِنْ شيمتي شَتْمُ ابنِ عَمّي ؛ وما أنا مُخْلِفٌ مَنْ يَرْتَجيني [1]

سأمْنَحُهُ على العِلاّتِ ، حتى أرى ، ماوِيّ ، أن لا يَشْتَكيني [2]

وكِلْمَةِ حاسِدٍ ، من غيرِ جُرْمٍ ، سَمِعتُ ، وقلتُ مرّي ، فانفُذيني

وعابُوها عليّ ، فلَمْ تَعِبْني ، ولم يَعْرَقْ لها ، يَوْماً ، جَبيني

وذي وَجْهَينِ ، يَلْقاني طَليقاً ، وليسَ ، إذا تَغَيّبَ ، يَأتَسيني [3]

---

١ المخلف : الذي يعد ولا يفي .

٢ على العلات : أي على كل حال .

٣ يأتسيني ، يقال ائتسى به : اقتدى به ، اتخذه أسوة ، أي قدوة . وقد عدى الشاعر الفعل مباشرة ، وربما كان العرب يقولون ذلك .

نظَرْتُ بعَينِهِ ، فكَفَفْتُ عَنْهُ ، مُحافَظَةً على حَسَبي وديني
فلُوميني ، إذا لم أقْرِ ضَيْفاً ، وأكْرِمْ مُكْرِمي ، وأهِنْ مُهيني

كل زاد فانٍ

قال أبو صالح : أنشدت لحاتم :

ولا أُزَرِّفُ ضَيْفي ، إنْ تَأوَّبَني ، ولا أُداني لَهُ ما لَيسَ بالدّاني[1]
لَهُ المُؤاساةُ عِندي ، إنْ تَأوَّبَني ، وكلُّ زادٍ ، وإنْ أبْقَيْتُهُ ، فاني[2]

١ أزرف : أبعد وأنحي . تأوبني : رجع إلي .
٢ المؤاساة ، من آساه : جعله أسوة له .

فهرست القوافي

ر

س

ع

DĪWĀN

ḤĀTIM al-ṬĀ'Ī

Distributor in Iraq

AL - MUTHANNA LIBRARY
Proprietor
Kassim M. Ar - Rajab
BAGHDAD

الثمن ٢٥٠ ق. ل.